اليـــوم الخـــالـــد

بســم اللــه الرحمـــن الرحيـم

محمـد نسيـب

ان الذكرى الخامسة والعشرين لاندلاع ثورة نوفمبر الخالدة يجب ان تضيء طريقنا وتجد عمدنا وتشحذ عزائمنا ، وتقوى أواصرنا وتجمع كلمتنا ، وتوحد صفوفنا ، وتيقظ نيامنا .

ان أول نوفمبر يذكرنا بعهد الاستعمار ولياليه الحالكة الموحشة... ومهما يكن من أمر ، فمن الذكريات ما لا يمكن ان يمحوه الزمان ... من يا ترى ينسى كفاحنا المرير الطويل فى مختلف مراحله واشكاله ، وما حفل به من بطولات وتضحيات ــ وما ذاق فيه الشعب الجزائرى من حرمان واضطهاد ونفى وتشريد ..

ومن يا ترى ينسى مليونا ونصف مليون شهيد وما تركوا من ارامل وأيتـــام .

من يا ترى ينسى الجراح وما جادت به المآقى من دموع ، وما قدمه الشعب من دماء ، وما ضربه من امثلة فى البطولة والفداء ... من أجـل الجزائر الحرة ، والقضاء على عهد الجهـــل والحرمـــان والاستعبـاد والاستغلال ...

فى مثل هذا الشهر الاغر من عام 1954 انفجر بركان الثورة ، ثورة التحريـر والتغيـير .

لقـد كنـا نـزرع والاجنبى يحصـد .

وكنـا نغـرس والاجنـبى يجـنى .

وكنا نشقى ونتألم وهو ينعم ويتلذذ ، وكانت حياتنا قبل ثـورة نوفمبر الخالدة تشبه حياة الجمل الذى يحمل الماء على ظهره وهو يموت عطشا حتى جاءت ثورة نوفمبر فغيرت الاوضاع وصححت المفاهيم .

لقد صيرت ثورة نوفمبر الضعيف قويا والذليل عزيزا والعبد حرا والاسير طليقا والخادم المطيع ثائرا متمردا ، وصوت الاحرار يمـلأ الفضـاء ، ونداء الجهاد يرن فى الآذان ، والشعب يصـرخ فى وجـه الاستعمـار :

أين المفر ؟ هذا يومك يا عدو البشر .

وبركان الغضب يغلى ويفور فى كل صدر

والشعب يزحف ويتقدم الى الامام بخطى ثابتة ليصافـح الموت ويعانق اللهب المشتعل، اذ كان أفراده يتزاحمون على الموت أمام الشدائد فابتسمت لهم الدنيا ، وطلبوا الموت لتوهب لهم الحياة

هذا نور الامل ينبثق فى كل جبين ، وشعاع الايمان ينبعث من القلوب المؤمنة يبدد ظلام اليأس والشكوك ويعلن عن نهاية الاقطاع والاستغلال والاستعباد وزوال الاستعمار ، والفرحة تغمر الوجوه ، والابتسامات تطفو على الثغور ، وبشائر النصر تبدو فى الافق ، وتعلن عن انبثاق الفجر السعيد وأفراح العهد الجديد .

ان الذى يجب ان نتذكره دائما هو الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من دينها السماوى ومن تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات .

ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان تمنح آمالها الكبيرة اعظم القوى الدافعة ، كما انها تسلحها بدرع من الصبر والشجاعة .

لقد تعلمنا هذا من تاريخنا الاسلامى المجيد الذى سجله اسلافنا الابطال بحروف من النور فى جميع الميادين والعصور ، وتعلمنا ان النصر دائما حليف المؤمنين أصحاب العقائد والقيم والمبادىء وأصحاب الصبر والثبات والصمود .

لقد شاهدنا هذا ولمسناه فى ثورتنا التحريرية . لقد احترقت الارض ولم يحترق الشعب ، وزحزحت الجبال ولم يتزحزح هذا الشعب المؤمن .

ان ثورتنا كانت صاعقة من نار على الذين يحاولون ابتلاعنا ، وطمس آثارنا ، وتحطيم كياننا ، وتشويه ثقافتنا ومسخ شخصيتنا وانكار وجودنا .

اننا أمة لها حضارة عريقة وتاريخ طويل تمتد جذوره فى أعماق الزمان وبه استطاع الشعب الجزائرى ان يتغلب على فرنسا المستعمرة وأحلافها ، لانه كان يحارب بايمان وعقيدة .

لقد سجل بدماء ابنائه صفحات من أروع صفحات تاريخنا المعاصر، وكان مؤمنا بحتمية انتصار الثورة لانها تعبير حقيقى عن ارادة شعب قرر انتزاع حريته واستقلاله من أيدى غاصبيه بفضل قوافل الشهداء الذين كانت اخلاقهم عفة ، وبطولة ، وصدقا ووفاء ، وشهامة وايثارا ، واقداما ونكرانا للذات .

يا شهداء نوفمبر لكم فى كل قلب قبر ، انكم مدفونون فى القلوب لا فى القبور ، ولكم فى كل تاريخ صفحة ، وفى كل سنة ذكرى ، وفى كل قرية رمز ، وفى كل شارع اسم ، وفى كل ميدان تذكار ، وفى كل درب قصة يحكيها الآباء للابناء والاحفاد ويرويها الزمان للاجيال تلـو الاجيـــال !

الجـانب الاخـلاقى والاجتمـاعى
فى ثـورة أول نوفمبـر 1954

يوسف يعلاوى
الامين العام للمنظمة الوطنية
للمجاهدين



ان الذى يستعرض مراحل ثـورة نوفمبر 1954 ويحاول الالمام بجوانبها المامة مفصلة ، لا شـك انـه سيتعثر دون تحقيق غايته المنشودة .

ولا يستطيع ، بالتالى ، ان يعطى جانبا واحدا منها ما يستحقه من التدقيق والتمحيص .

ولكن الواجب يقضى ، وفى كل مناسبة ، اضافة بعض من التفصيل وبعض من الايضاح واضافة عينات ـ على قصرها وتواضعها ـ تأتى نابعة من أعماق الذكريات ، وحضورا فى التاريخ لا زال يمضى شلالا ، ليكون الضمير الحى لهذه الامة ونبراسها فى العمل الدؤوب ... ومكانا لها فوق الشمس .

واذا كانت كـل جوانب ثورتنا الخالدة ودقائقها : هامة وحاضرة ، فـان جانبها الاخلاقى والاجتماعى يحتم الابراز والتسجيل لما أولته الثورة من عناية فاقـت كـل تقدير ، ولكونه الحافز الاسمى الذى الهم النفوس لتتحول آلام هذا الشعب آمالا وحقيقة.

ولانه عنصر رئيسى حفظ ويحفظ الثورة من الميوع والانحراف •

وليس من المبالغة فى شيء القول : بأن وجود هذا العنصر (الاخلاق) هـو الذى جلب للثورة ورجالها الثقة والتصميم المطلقين فى نكران الذات ، وهو الذى جعل من الشعب الجزائرى رجلا واحدا • ينصهر فى الثورة ، مستميتا من أجل تعزيزها ، والسير من ورائها •• وبذل اغلى ما يملك من نفس ونفيس •• ومال وبنين حتى يتم انتصارها •

وكانت ارادته من ارادة الله ، وكانت عبره ومآثره ما نذكر به الآن ، ونحن نوثق ارتباطنا بالماضى ، لنثب فى حاضرنا الجلى وبكل حماس ، نحو مستقبل زاهر أكيد •

لقد اعلنت الثورة فى بيانها الاول عن مبادئها الاساسية التى حثت الشعب عـلى احترامها والعمل الجماعى من أجل تحقيقها وغرسها فى نفوس المواطنين ، فكان من أول أهدافها ـ كما جاء فى البيان ـ :

(أن تقام ، من جديد ، دولة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية واجتماعية فى اطـار المبادىء الاسلامية) •

وفعلا ، فان الوضوح الكامل الذى حصحص أبعاد الثورة ، جعل الشعب الجزائرى يدرك مبكرا حقيقتها والاسس التى ارتكزت عليها كبرنامج وكهدف واجب التحقيق •

ولم تكن هذه الابعاد وهذه الاهداف سوى الوحدة الوطنية ، والتى طالما عمـــل الاستعمار بحقد واجتهاد محكمين على تمزيقها :

ـ بابادة ونهب وحجز الامة والمجتمع فى الجزائر وتدميرها تدميرا منظما •

ـ وبتصنيف أبنـاء الشعب الجزائرى الواحد الى فئـــات متضاربة •• متطاحنة متنـافرة •

كما ان هذه الابعاد وهذه الاهداف لم تكن : غير التعبير الصريح للمجتمع الجزائرى ، ليندفع باتقان ـ وبحثا عن الذات ـ وشخصيته العربية الاسلامية ، محاربة فى نفس الوقت ، وبنفس قوة السلاح ، أسباب الاستيلاب والذوبان ، وجذور الآفات الاجتماعية والانحلال فى شتى أقنعته ومظاهره •

وباختصار ، فان الامر يتعلق بحفظ البقاء الكريم العزيز ، بصريبة الدم ، لشعب يريد انتصار المبادىء التى تخدم الحق والعدل والرخاء .

ادرك ، الشعب الجزائرى جيدا ان الامر جد وعمل وانها ثورة حتى النصر .

وكيف لا يتسنى لها ذلك ، وقد جمعت الوسائل والشروط التى تضمن لها النجاح.

كما عرف انها لم تكن حركة فئة أو جهة أو قبيلة محدودة ومعينة ، ولكنها الارادة الجماعية النزيهة المنظمة ، والوضوح المذهبى الجلى الغاية والوسائل : تجسد فى اتحاد شعب مسلم ، تحرك بعد ان كره عيش الذل والهوان ، وفهم فهما سليما قوله عز وجل : **(انما المؤمنون اخوة) و (ان اللـه يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص) .**

وهذا بالذات ، ما يفسر العطف التلقائى والتجاوب العميق اللذين لقيتهما الثورة لدى مختلف فئات هذا الشعب العظيم ، ولدى جل الهيئات الشعبية فى العالم الاسلامى وفى مشرق الوطن العربى ومغربه .. وأمواج أنصار السلام قاطبة .

كما تفهم الشعب الجزائرى : ان الخناق العام الذى فرض عليه فى كل الميادين ، وعزلته التامة عن العالم ، والغربة الموحشة التى وضعه الاستعمار فيها ، قد آن الاوان ليخرج منها نهائيا بفضل ابنائه الثـوار ، ورجاله المجاهدين الذين حققـوا المعجـزة بقطعهم احابيل اليأس والقنوط والجمود ، وزرعهم فى نفوس المواطنين بذور الغـيرة والامل والحماس .

فأشعلوها ثورة على الاستعمار والخونة ، عجز المستعمر عن اطفائها واخماد جذوتها ، رغم استعماله لكل وسائل الترغيب والترهيب .

ان أولئك الرجال قلة فى عددهم ، ولكنهم أمة فى ارتفاع معنوياتهم ، وفى شجاعتهم واخلاصهم وتفانيهم .

تسلحوا بسلاح الايمان بالله والوطن ، فكانوا مثالا فى التفكير العبقرى والسلوك الانسانى والنموذج الاخلاقى القويم الشىء الذى جعلهم يندفعون فى أجيـــج اللهيب المقدس ، لهيب الحرب التحريرية .. يشقون للجزائر طريق المستقبل الزاهر ، طريق

الانتصار على الظلم والجبروت ، طريقا تكشف للشعب ذاته وتاريخه التليد واصالته الحقيقية ، طريقا يمضى فيه زاحفا لمحو عار احتلال وطنـــه ... وليقضى على أسطورة واحلام المستعمر الفرنسى الغاشم ، حين اعتبر فى نص دستوره (ان الجـزائر أرض فرنسية ، وان العربية لغة أجنبية ، وان الدين الاسلامى تخضع مساجده ومؤسساته للحكومة . ولا يتمتع بما تتمتع بــه المسيحية واليهودية من حرية ومساعدة) . حتى بطاقة التعريف تشهد بان الجزائرى « فرنسى » قبل كل شيء ، ثم « مســلم » ان أراد الاستعمار .

لكن المجاهدين الجزائريين قبل ان يرفعوا السلاح ويحملوا البنادق ، كانت قلوبهم وعقولهم ، مفعمة بالرد المفحم المقنع والفاصل للامام عبد الحميد بن باديس (الاســلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا) ، مفندا بذلك ادعاءات ودسائس الفرنسيين المستعمرين ، والتى دونتها أياديهم الظالمة فى قوانين واهية مزيفة .

فكانت تلك عظمـة وايمـان الشيخ الامـام ، وذلك كان ايمانا وغايـة للمجاهدين الابطال . وما سيطرتهم التـامة فى ميـــدان القتال ، والهزائم النكراء المتتالية التى ألحقوها بالاستعمار ، سوى دروس مثالية لتسفيه وتعرية عديمى الاخلاق من الطغـاة الجناة الذين حنطوا الانسان فى تاريخ من السواد والدماء !

ولولا ان كانت الثورة العارمة اخلاقا وانضباطا لما حققت على ايدى المجاهدين مـا حققته من انتصار واسترجاع لسيادتهم وكرامتهم وعزة دينهم ووطنهم ولغتهم .

فكنت تجد سلوك المسؤول الاول والجندى البسيط واحدا ، وكان من الصعب عليك ان تفرق بين هذا وذاك حتى فى المأكل والملبس وأداء الواجب ، فلا امتياز لاحد على أحد ، وليست هناك حظوظ احد على الآخر .

بل ، ما يمكنك معرفته حقا : ان المسؤول يتقدم الصفوف عند الشدائد ، ويتـأخر كثيرا بعد ذلك ، مسخرا ذاته وراحته من أجل اخوانه .

ان القانون الداخلى للثورة التحريرية كان يطبق بصرامة وديمقراطية وعدالة على الضابط والجندى والمدنى .

واذا كان نظام الثورة قد يتسامح فى الاخطاء البسيطة التى لا تضر المجتمع ولا تمس الثورة كنظام ، فانه لم يكن ليجيز أو يتسامح لاى خرق للمبادىء أو أى اخلال بتماسك وحرمة الاسرة والمجتمع ، من فساد فى الاخلاق وخيانة للامانة ونهب لاموال الثورة والشعب • وهكذا ، فبحجم خطورة الاخطاء المرتكبة تكون العقوبة من سجن لمدد مختلفة الى حكم بالاعدام •

ولعل القارىء الكريم يتشوق الى سرد بعض الامثلة التى تبرهن عن جدية الثورة وتأثيرها وتوفر العناصر الايجابية فيها ، والتى اتذكر من بينها هذه الاحداث :

الحادثة الاولى : (الولاية الثالثة سنة 1960) • أقيم المجلس العسكرى لمحاكمة أحد الضباط يدعى (سى عمر فاقر) وكان موضوع القضية الزنى •

قال رحمه الله أمام المجلس : « انى أشعر بفداحة ما اقترفته ، وسوف أكون أكثر اطمئنانا بنزاهة الثورة وقوتها اذا طبق على قانون العقوبة الصارم ، والذى هو الاعدام».

الحادثة الثانية : الولاية الثالثة 1960) : وهى التى جمعت بين ثلاثة من جنود جيش التحرير ، ظهر منهم نوع من الفشل • بدأ فى خروجهم عن النظام ، فصاروا يتنقلون فى أوساط المدنيين ويستعملون أساليب غير نظامية فى أخذ الاموال •

فحكمت المحكمة العسكرية التى نصبت فى شأنهم بالاعدام على واحد منهم ، وتعيين الآخرين فى مناطق أخرى •

حدث هذا فى أول اتصال بين الوفودين الجزائرى والفرنسى فى مفاوضات « مولان » ، الامر الذى أدى باحد أعضاء المحكمة اثناء المداولة الى القول •

« لعل هذه المناسبة المبشرة بقرب الاستقلال ، تتطلب تخفيف الحكم عليهم » فأجابه الآخر (من أعضاء المحكمة) :

« ان قوانين الثورة ومواقفها لا تسمح لنا بالتهاون فى تطبيقها حتى آخر دقيقة من الحرب التحريرية ، والتى ربما تتغير فيها مهامنا كما تتغير فيها هذه القوانين وهذه المواقف » •

اما الحادثة الاخرى ، والتى وقعت فى الولاية الاولى سنة 1958 فكانت كالآتى :
جاء المسبلون بأمرأتين جزائريتين الى المركز الذى يتواجد به جيش التحرير ، بعد ان شوهدتا مع رجلين أجنبيين داخل سيارة ـ جنوب مدينة سطيف ـ متلبستين بالسكر والاختلاط غير الشرعى (وقد فر الاجنبيان بالسيارة) .

جاؤوا بالمرأتين ، وبعد البحث والبث فى القضية ، وقع الحكم بالاعدام على واحدة منهما .. ولحظة تنفيذ الحكم عليها .. التفتت لتقول :

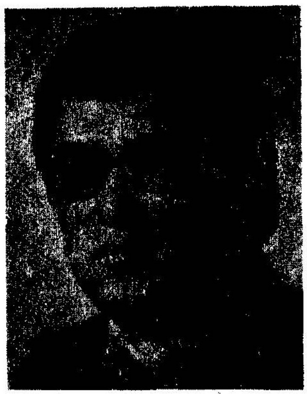
ـ يا عمار انى جزائرية ، فأجابها الجندى المنفذ :

ـ انت كذلك فعلا ، ولكنك جزائرية « سفيهة » ، جزائرية مريضة .. ولهذا أوجب استئصالك عن هذا الجسم الطاهر السليم ... عن المجتمع الجزائرى الشامخ العظيم .

وبعد ، فأن العديد من الامثلة والمواقف والاحداث من ثورة نوفمبر 1954 ، لا زالت حاضرة وتتطلب الوقوف والدراسة والبيان لتغدق على أجيالنا الصاعدة ، ينابيع هى تاج الصفاء والخلود .

الــدرس المســتفــاد
مــن ثــورة الجــهــاد

د٠ أحمد بن نعمــان



اذا كان معن الطبيعى ، بــل ومن المطلوب أن تفتخر الامــم والشعوب بأمجادها الخالدة ، وتحيــي ذهــراها السنوية ، والمائوية ، عبر الزمان والمكان ، لنقل مفاخر الآباء ، والاجداد ، لاعيــان الاولاد والاحفاد ، ووصــل السلف بالخلف ٠٠٠

فانه لا ينبغى ان يكتفى فى مثل تلك الاعياد السعيدة بتنظيف الشوارع وانــارة الطرقات ، وزكشة الميادين بأشكال وألوان من الاعلام واللافتات ٠٠٠ لتنزول بعــد أيام وتعود الشوارع الى دكنتها ، وتظل القلوب والعقول على حالها ، بل الواجب عــلى الامة الخليقة بتلك الامجاد والمآثر ، أن تتخذ مــن مثــل هذه الاعياد عبرة للاقتداء ، ومناسبة للتذكر والتدبر ، ومحطة لتنظيف القلوب ، وتنوير العقول ، قبل انــارة الشوارع ، وتنظيف الشرفات ، لان من يكن ذا قلب مريض أو فم مر يجد مرا به الماء الزلال ، (على رأى أبى الطيب المتنبى) ومن يكن ذا نفس مشرقة جميلة مؤمنة يــر الوجود جميلا ، ولو كان مضاء بالقناديل الزيتية ٠٠٠

فالعبرة ـ اذن ـ هى مراجعة الجواهر قبل تغيير الاعراض ••• ومن غير الطبيعى ألا يتعثر الكائن الانسانى فى سعيه الحثيث من أجل حياة أفضل ، لان الذى لا يتعثر هو الذى لا يسير أو لا يتحرك . والذى لا يتحرك يعتبر ميتا ، لان الموت سكوت . والحياة حركة ، والحركة فعل ، والفعل عمل ، والعمل المنظم الهادف هو ضمان الحياة السعيدة والكريمة • والذى لا يخطىء هو الذى لا يعمل •••

فمن هنا كانت المراجعة واجبة ، لان العامل متعرض للخطا ، والسارى متعـــرض للضلال ، والخطأ المضر هو الذى لا يصحح ، ولا يتدارك قبل فوات الاوان ، والضلال المضيع هـــو الذى لا يراجع صاحبه خط سيره على ضـــوء مبـــدا المراجعة ، ولا أقول التراجع (•••) لان التراجع قد يعنى أن البداية لم تكن صحيحة ، أو بعبارة أخرى لم تكن مبدئية (•••) أما المراجعة فتعنى ان البداية سليمة ومبدئية ، غير أن احتمال ما يمكن أن يتخلل الانجاز من انحرافات استوجب ظهور مبدأ المراجعة ، وهو المنهج الواقعى السليم ، الذى يقره العقـــل الناضج • وقد أكده ، بل وطبقه ابو الفلاسفة الحديثة (رونى ديكارت 1596 ـ 1650) •

فمـــن هذه الحيثيات سيكون حديثنا منصبا عـــلى المراجعة وليس على التراجع ، خاصة ، واننا نرفع شعــــار الثورة المستمرة ، ونؤكد ايماننا دومـــا ، بأن لنا بداية صحيحة ، ومنهجا مستقيما ، ومبدءا ثابتا •••

فهذا يجعلنا ملتزمين أكثر بمراجعة الحاضر المتطور فى ضوء الماضى الذى نعتــز بذكراه ، ونحاول أن نعى مغزاه ، ونصل عـــراه ، لان الزمان ، اذا كان غـــير الزمان ، فالانسان بجوهره الخلاق ، هو الانسان • واذا كان لنا ان نقف عند أبرز ما يتعين علينا مراجعة حاضرنا فيه على ضوء ثورة الجهاد ، فهو : **ضرورة توفر الايمان وتلازمه مع العمل** •

فالايمان والعمل من التكامل فى الحياة • بحيث يكونان وجهين لعلة واحدة ، وهما اشبه فى ضرورة التلازم بالقطب السالب ، والقطب الموجب فى الطـــاقة الكهربائية ، حيث ان ملايين الاقطاب السالبة أو الموجبة منعزلة بعضها عن بعض ، لا تحدث طاقـــة تذكر (•••) بينما يحدثها التقاء قطبين اثنـــين ، من الاقطاب السالبة والموجبة ••• فكذلك بالضبط يكون الايمان والعمل ، على اننا نلاحظ انهما يذهبان ضحية تبـــاين

الادراك ، وضعفه احيانا ، لدى الافراد والجماعات ، حيث يهتم بعضهم بالعمل وحده ، وبعد الايمان فى الغيبيات ، ويهتم البعض الآخر بالايمان وحده ، ويترك العمل للآلات ، ولا يهتم الفريق الثالث لا بهذا ولا بذاك • فى حين ان العلم يثبت لنا ان الايمان عملية وجدانية فكرية تحدث داخل العقل بفعل عوامل نفسية وفزيولوجية معينة ••• والعمل هو الشكل الخارجى لذلك الايمان الباطنى ، كما برهن على ذلك السلوكيون الذين يرون ان كل فعل ارادى يقوم به الانسان ناتج عن دوافع نفسية كامنة فى الخفاء (•••)

ولذلك كان الايمان بدون عمل هو جوهر محض . أى جوهر بدون عرض (ان صح هذا الاستعمال) ، أو هو اشبه بنفط متواجد فى باطن أرض يطبخ إصحابها بالهشم ، وينيرون خيامهم بالفوانيس السحرية . أو الزيتية (!!)

وإذا كان العلم يثبت لنا العلاقة العضوية عند الاسوياء بين العقل والعضلات ، فكذلك تكون العلاقة فى حياة الاسوياء بين الايمان والعمل • حيث ان العضلات مجرد آلة انسانها هو العقل ، باعتباره الآمر الناهى ، والعقل السليم لا يستمد القدرة على اعطاء الاوامر ، الا بقدر ما يكون مقتنعا بفائدة العمل الذى يأمر به العضلات •••

وانطلاقا من هذه المسلمة نأتى الى التطبيق فى حياتنا العملية الجماعية ، التى يهمنا ان تسير فى توازن دقيق بين جميع عناصرها دون افراط ولا تفريط •••

ولعل أقوى دليل (نصى) لنا فى ذلك هو الحديث الشريف القائل : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرء ما نوى ••• » حيث نستنتج بالضرورة إن الاساس فى كل عمل هو النية التى تكون لدينا فى أذهاننا (بقطع النظر عن نوعيتها أو مضمونها) والتى تكون الدافع للقيام بذلك العمل •••

ولئن كانت النية أو الفكرة سابقة بالضرورة عن العمل الارادى ، ايا كان نوعه ، كما نرى (•••) فان الايمان سابق بالضرورة على النيــة ذاتها ، لانه هو مولدها فى النفوس ، ومفجرها فى العضلات •••

فالايمان هو الذى يولد النية لدى الشخص ليستشهد فى سبيل الله والوطن ، أو يموت من أجل الخير والحق والحرية ، وهو الذى يدفع الفرد ليعمل بجد ومثابرة فى المصنع والمزرعة ، والمدرسة ، والادارة ، ويشيد الحضارات ، ويغزو الفضاء ، ويرود المحيطات ...

ومن هنا يمكن القول بأن أى خلل يصيب سير الحياة المثلى لاى مجتمع ، أو أمة ، يعود فى بعضه ، أو كله ، الى عدم التوازن بين الايمان والعمل ، فاما ان يوجد ايمان ينقصه العمل ، وهو جمود وركود ، واجحاف لحق الجسد على الروح ، واما عمل (شبه - لا ارادى) مفروض على الافراد لتلبية الضرورات البيولوجية ، دون ان يقتنعوا به ، وهو عمل دون ايمان ودون هدف ، وبالتالى هو اشبه بانتاج الحيوانات الالة الجامدة التى تحتاج الى انسان يصونها ويصلحها عندما تعطل !!

وأقصد بالايمان هنا : الاقتناع بمبدأ ، أو فكرة ، مستمدة من وحى سماوى ، أو عقيدة وضعية ، كما أقصد بالعمل الحركة الهادفة الملتزمة التى تدخل فى نطاق المنظور الاسلامى للعمل (كقيمة) فى الدنيا ، كالعيش أبدا ، ووسيلة للتزود الى الآخرة كالموت غدا (...)

وكأنى بالذين يكتفون بالايمان دون تجسيده بالعمل الصالح للدنيا ، والاخرى ... قد فهموا من الحديث القائل بأن الاعمال بالنيات ... انه يكفى ان ينوى المرء الاستقلال والتحرر ... قد استقل وتحرر ... أو ينوى بناء مسجد أو معمل ، أو ينوى التعليم قد أصبح عالما (!)

فهذا الفهم لسنة الحياة المثلى يخطئه الواقع المعاش لثورة الجهاد التى نراجع واقعنا على ضوء حقائقها الثابتة ... كما يخطىء واقعها - أيضا - من يفرغ الانسان من بعده الخلاق ، البعد الروحى ، والطاقة المعنوية الجبارة ... وينتظر منه الاخلاص والتفانى فى العمل من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادى والثقافى ، والخروج بالامة من الدائرة الحضارية للعالم الثالث .

فمن واقع ثورة الجهاد نؤكد انه لا الاول يجعل من ايمانه واقعا ملموسا دون جهاد باليد قبل اللسان ، والنوايا الطيبة . ولا الثانى يضمن لاعماله (الآلية أو اللا ارادية)

مقومات الاستمرارية والفعالية والنجاح · لان العمل بدون دافع ايماني سام ـ كما رأينا ـ هو سلوك حيواني لا يتعدى (فى أحسن الظروف) اشباع الحاجات البيولوجية للانسان ، فى حين ان الانسان كما **نعتقد** هو جسد وروح ، وعقل وعضلات ، وقوام حياته المثلى هو الايمان والعمل ·

وما دمنا نتحدث من وحى الذكرى عن تلازم الايمان مع العمل ، فلا نجد بدا من الوفاء بحق القارىء علينا ، فى الاستشهاد ببعض النماذج المعاشة فى تلك الليالى المضيئة ·

ولعل أبرز ما يفرض نفسه على الذاكرة بقوة ، هو ذلك التكامل والتلازم بين الايمان والعمل ، الذى يصعب على ابرع الكتاب قلما ان يصفه لابناء اليوم ، كما يعسر على اخصب ابناء هذا الجيل خيالا ان يتصور حقيقة ذلك الواقع المثالى ·

فهل يمكن لشخص اليوم ان يصدق بسهولة أن مجاهدا (وعددهم بالعشرات والمئات) يتطوع لتنفيذ حكم الاعدام فى أقرب وأعز الناس اليه (كالام ، أو الاب ، أو الاخ ، أو الاخت) ؟ أعتقد أن من يصدق بأن هذا الاجراء كان يحصل بكيفية اعتيادية على طول مراحل ثورة الجهاد ··· لا يتردد فى أن يتهم هؤلاء المجاهدين (على أقل تقدير) بأنهم قساة ، أو غير أسوياء · والحقيقة انهم كانوا قمة فى الاعتدال ، والتقوى والشفقة ، والتواضع أمام ما آمنوا بانه الحق ··· وليس الا ذلك الايمان المتأصل فى نفوسهم هو الذى جعلهم يحكمون العقل ، والمبدأ ، قبل العاطفة والمصلحة الانانية ، وبالتالى صيرهم فى نظر بعضنا اليوم بأنهم غير عاديين · ولكن هذا الالهام فى محله ، اذا نظرنا اليه بمنظور اليوم حيث أن الآية قد انعكست فى نظر هذا البعض (···)

وصورة أخرى للايمان والعمل ، هى تلك المتمثلة فيما يشبه الانتحار فى يومنا الحاضر ، وهو اقتحام المجاهدين العزل لوطيس المعارك ، والقلاع المحصنة ··· من أجل الحصول على قطعة سلاح أو نيل الشهادة · وكم كانت رائعة ودالة تلك التسمية التى كان يتندر بها المجاهدون الحاصلون على قطعة السلاح ، من الزملاء الذين كانوا يجابهون نيران الطائرات والمدافع بايديهم البيضاء ، اذ كانوا يسمونهم (أصحاب الايمان) ويبقى المجاهد من هؤلاء فى عداد أصحاب الايمان ··· الى ان يفتك قطعة

سلاح فى المعارك التى يخوضها الزملاء ، أو يستشهد دونها ٠٠٠ وكم من نفس راضية رجعت الى ربها فى مثل هذه الاعمال الجهادية الرائعة ٠

وعندما اتأمل اليوم تلك التسمية التى كان يطلقها الزملاء بكيفية عفوية على من لا سلاح له أجد ان لها دلالة أعمق من الفهم السطحى الفكاهى الذى كنا نفهمه فى ذلك الوقت (٠٠٠) وأول الحقائق المستنتجة من هذا الواقع هو أن الايمان القوى المقرون بالعمل ، هو الذى يخلق السلاح المادى أو وسيلة الانتاج كما يمكن ان نطلق عليها اليوم ، وليس المادة هى التى تخلق الايمان ، لان الايمان شىء معنوى شعورى مرتبط بالجانب الروحى فى الانسان ، والمادة مشكلة ومرتبطة بالجانب المادى فى الانسان ، والروح (كما نعتقد) هى التى تحرك المادة الجسدية ، وليس المادة الجسدية هى التى تحرك الروح ، بدليل ان الانسان عندما يفارق الحياة (نتيجة سكتة قلبية مثلا) لا ينقص جسده شىء الا طاقة الروح المحركة الخفية « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » بينما قد يفقد الجسد العايد من أعضائه وأجزائه ، ولا يفقد الحياة ، لان الروح لم تفارقه ، واذا فارقته الروح توقف كل شىء (ولهذا الكلام تعليلات علمية لا يسمح السياق بعرضها) ٠

فالايمان اذن هو المحرك الاول ، والعمل عنصر ضرورى مكمل لهذه الحركة ، واذا كان الايمان روحى المحتوى فالعمل مادى المحتوى ، ومن ثم يكون كلاهما ضرورى للآخر من أجل تكوين الفرد المتزن السوى ، وخلق المجتمع القوى ، لان الفرد كما أكدنا هو مادة وروح ، وعقل وعضلات ، وفكر وعمل ٠

واذا اتفقنا على ضرورة تلازم الايمان مع العمل على هذا النحو الذى تؤكده لنا ثورة الجهاد المضفرة ، سيبقى السؤال مطروحا حول كيفية تولد هذا الايمان المقرون بالعمل ٠

والجواب يكمن فى حقيقة علمية (سوسيولوجية) مفادها أن أى ظاهرة أو فعل قد تم انجازه فى الماضى يمكن تكرار التجربة لانجاز مثيل له اذا توفرت نفس الشروط ٠٠٠ والثورة التحريرية المسلحة انجاز قد تحقق فعلا وأعطى نتيجته الملموسة المتمثلة فى الاستقلال الذى ننعم به اليوم ٠

وما دمنا مقتنعين برفع شعار الثورة المستمرة ، من أجل الخروج من التخلف المادى والفكرى ، وتحقيق الاستقلال الكامل الجدير بتضحيات الشهداء ٠٠٠ يتعين علينا ان نراجع تلك الشروط المتوفرة فى ثورة الجهاد ، ومن أهمها فى اعتقادنا :

أولا : **مطابقة الافعال للاقوال :**

اذا كان العدل هو أساس الملك فلا شك ان الصدق هو أساس الثقة ، والثقة هى أساس التلاحم بين الافراد والجماعات ، وهى أساس التضحية لان من لا تثق فيه لا تضحى معه ولا تضحى ـ قطعا ـ من أجله ٠

واذا فقدت عوامل التلاحم الاجتماعى المتمثلة فى مثل هذه القيم النفسية ، فقد الافراد عوامل الترابط ، والايمان بخيرية بعضهم البعض ، وفقدت الغيرية مكانها لتبقى الانانية وحدها فى الميدان دون منافس ٠

فمطابقة الافعال للاحوال هى معيار الصدق المولد للثقة ، فالكافر صادق اذا قال أنا كافر ، والكاذب صادق اذا قال أنا كاذب ، والمؤمن كاذب اذا قال أنا كافر ، والصادق كاذب اذا قال أنا كاذب ٠٠٠

واذا أتيت بهذه القضايا ، والمقدمات البديهية فذلك لاصل الى توضيح الترابط الوثيق بين الايمان بالمبادىء والصدق فى التطبيق ٠٠٠

فالعاقل لا يؤمن بشيء انه حق الا اذا اقتنع ان هذا الشيء كذلك ، والاقتناع يأتى عن طريق الاستدلال ، والاستقراء ، والمشاهدة ، والمقارنة ، أى مقارنة المبدا بالتطبيق ، ومقارنة الاقوال بالافعال ٠ ومن هنا يكون الاقتناع سابقا للايمان ، كما يكون الايمان سابقا للفعل بحكم الاصول ٠

واذا طبقنا هذا المعيار النظرى على واقع ثورة الجهاد نجد أن الافعال كانت طبقا للاقوال ، وما كان على اللسان صورة لما فى الجنان ، فتولدت الثقة بين الافراد ، وقوى الايمان ، لان الكلام صدق ، والعهد حق ، والوعد وفاء ٠

فلا يخاف المجاهد على أولاده ما داموا فى رعاية الاوفياء (٠٠٠) ولا يتردد الجندى فى اقتحام النار ما دام الضابط فى طليعة الشهداء ، ولا يشك الشعب فى ايمان الجيش

ما دام الجيش قمة فى الفداء ، ولا يخشى الجيش من خذلان الشعب ما دام الشعب قمة فى العطـاء ٠

فالثقة المتبادلة بين الافراد كانت هى أساس التفانى فى الجهاد ، وقوام التآلف والتكاتف والاتحاد ٠

فلنراجع هذا الشرط فى أنفسنا اليوم على ضـوء ثـورة الجهاد ، ونتساءل عما اذا كانت أقوالنا تطابق أفعالنا حتى نضمن الثقة بين الافراد ، ونحقق الهدف المنشود من الثورة المستمرة ، فذلك أول الشروط ٠

ثانيا : **الاحتكام الى المبادىء ٠٠٠**

اذا كان من الطبيعى أن تقـع بعض الاختلافات بين الافراد فى مسـائل الانجاز الثورى ، التى تخضع لاجتهادات الاشخاص المعرضين للسهو والخطا ، فانـه من غـير الطبيعى ألا يقع الاحتكام الى المبادىء بدلا من الاحتكام الى المصالح ٠ فهذه هى نقطـة القوة وتلك هى نقطة الضعف فى حياة آية ثـورة مهما كانت عارمة ، لان الاحتكام الى المبادىء عامل جمع واتحاد وقوة ، والاحتكام الى المصالح عامل تمزق وضعف وعزلة ٠

فالثورات مبادىء وانجازات ، والمبادىء أفكار موضوعية خارجة عن ذوات الاشخاص ومن ثم كانت قادرة على ان تجمع من حولها الملايين من الافراد ، لانها ثابتة فى مكانها ولا تتغير مع الاهواء ، فهى تؤتى ولا تأتى تغير ولا تتغير ، فمن يـريد أن يتعرف عليها يجدها فى مكانها ، على حالها ، فاذا اقتنع آمن بها ، ووجب عليه الالتزام بتحقيقها فى الواقع الملموس واتخاذها خطا للرجعة فى كل انحراف ، وأصلا للاحتكام فى كل خلاف٠

فالايمان شيء معنوى كما رأينا ، ولا يمكن أن نجعل شخصا مؤمنا ، بقوة السلاح المادى ٠ لان طريق الايمان الوحيدة هى الترغيب ٠ ومثلما لا نستطيع ان نصير شخصا مؤمنا بمبدا معين بالقوة المادية ، لا نستطيع ان نغير ايمـــان شخص بنفس الوسيلة ، فالافكار لا تغيرها الا الافكار مثلها ، ولا يفل الحديد الا الحديد ، فاذا آمن الفـــرد بمبدا معين حق الايمان ، أعطى حياته رخيصة من أجله ، واذا لم يؤمن ضن حتى بالكلمة الملتزمة المفيدة فضلا عن بذل الجهد والعرق والحياة ٠

وما دام الايمان شيء معنوى فانه من السهل على أى فرد كذاب أن يقول : أنا مؤمن بمبدا كذا ، ومبدا كذا ، وليس لاحد منا الحق ان يخلع عنه ذلك الايمان ، وفى هذه الحالة قد يكثر المؤمنون ، ويختلط المؤمن الحقيقى بالمؤمن المزيف ، الا ان المسلك الذى سيبقى فصلا فى هذه الحالة هو السلوك الذى يقوم به هذا الفرد أو ذاك ٠

فالسلوك والممارسة الفعلية للمبادىء هى التي تحدد ، وتجسد نوع الايمان ، وكمه الكامل فى باطن الفرد ٠

ومن تجربتنا في ثورة الجهاد نذكر كيف كان يختبر الايمان بالعمل ، والمبـــدأ بالسلوك ٠٠٠ ولعل من أبرز الامثلة على ذلك ما عرف فى احدى مراحل الثـــورة (بمؤامرة الزرقاء) ومفاد هذه الواقعة كما تحتفظ بها الذاكرة ويؤكدها الزملاء هى محاولة القيادة العسكرية للاحتلال ، تقويض بناء الثورة المسلحة من الداخل ، بعد أن فشلت بكل الوسائل ، فى اخماد نارها من الخارج ، وتتمثل تلك المؤامرة فى غرس بعض الجواسيس فى صفوف المجاهدين ، عن طريق تظاهر هؤلاء الخونة بالوطنية ، وحب الجهاد ، والتضحية ، والرغبة فى الانضمام الى صفوف الثوار ، وكادت ان تنطلى هذه الخدعة على بعض القيادات ، حيث أخذت المؤامرة تأتى أكلها فى الظلام (٠٠٠) الا أنه هيهات أن يصمد الباطل أمام الحق ، اذا كان مع الحق رجال ، رجال ولو قلائل ٠

فكانت القوة وصمام الامان ، كان يتمثل فى الاحتكام الى المبادىء ، واختبار النوايا بمحك الافعال ٠٠٠ فكان سلوك الدخلاء على ثورة الجهاد مخالفا فى الشدة ، لما يدعونه فى الرخاء ٠ ومخالفا فى الميدان لما يدعونه فى الامان ٠٠٠ وكان ذلك كافيا وحـــده (بالرغم من وجود عوامل أخرى لا يسع المجال لتفصيلها) لكشف شبكة المجاهدين المزيفين ، من طرف المجاهدين الحقيقيين ٠ وتم استئصال الخونة كالشوك من أرجل الثورة العملاقة لتواصل الزحف المظفر ، الى الهدف المنشود ٠

وعلى الرغم من تغلب الثورة على المؤامرة ، لم يفت قيادة الجهاد آنئذ ان تستفيد من هذه التجربة الاليمة ، وتتخذ منها العبر ، وتتفادي تكرارها فى المستقبل ، (لان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين) ٠

واذكر انه منذ ذلك التاريخ (1958) أصدرت القيادة الولائية تعليمات صارمة بعدم قبول أى متطوع فى صفوف الجهاد الا اذا نفذ عملية فدائية بمفرده ، كتفجير قنبلة فى احدى بؤر العدو ، أو قتل احد الخونة ، المسلحين (...) .

وكان منطق القيادة فى ذلك واضحا وسليما حيث يقول : ما دام الشخص يريد التطوع فى صفوف الجهاد ، فهو بالضرورة مؤمن بمبادىء الثورة ، واذا كان المتطوع كذلك حقا فهو بدون شك لا يخشى الموت ، لان الموت (فى تلك الايام) هى أبسط الامور التى تعترض طريق المجاهد ، وعليه فليختبر ايمان هذا الشخص المتطوع من الاساس ، حتى لا يحسب على الثورة ويعيش عالة على الثوار ، وكم من مدعى فشل فى الامتحان الصعب ، وأراح الثورة ، وكفاها شره ، واستراح ...

ونعود الى موضوعنا ونقيس الحاضر على الغائب ، ونقول : ما دمنا نرفع شعار الثورة المستمرة ، ونصرح بأن للثورة أعداء فى الداخل والخارج ... أفلا يكون من المحتمل جدا ان تتكرر المأساة ، المؤامرة ، ونجد أنفسنا أمام الاعداد الهائلة من المتطوعين فى ثورة البناء ، والتوازن الجهوى ، والعدالة الاجتماعية ..؟

فما هو ــ والحالة هذه ــ المسلك الذى يختبر به ايمان هؤلاء المتطوعين ... بالمبادىء الاشتراكية ؟ ؟

اما الجواب ــ فى اعتقادى ــ فان التاريخ يمكن ان يعيد نفسه ، وان آخر الثورة لا يصلح الا بما صلح به أولها .

واذا كانت ثورة الجهاد قد نجحت باختبار الايمان بالعمل والاحتكام الى المبادىء قبل المصالح ... فان سنن الثورات لا تتبدل ، ومقومات النجاح واحدة ، وطريقته غير متعددة ، فاما مبادىء تحكم البعض من أجل صالح الكل ، واما مصالح تحكم الكل من أجل صالح البعض ...

ولئن احتاج هذا الحكم الى توضيح فلا أجد خيرا من التعريب لاذكره كمثال بارز من مبادىء الثورة المستمرة ، ولتقس عليه المبادىء الاخرى (...) .

فمن الناحية النظرية ، والكلامية ، نجد انه ما من أحد (من الثوار) يجرؤ عـلى القول (الا سرا) بانه ضد مبدا التعريب ، واسترجاع الشخصية الوطنية ، وتحقيق هويتها ··· الا ان الاعتراف ـ قولا ـ بمبدأ التعريب ، وسيادة اللغة الوطنيـــة فى المواثيق والخطب الحماسية الرسمية والشعبية ··· لم يحل دون بقاء اللغة الوطنية حبيسة المساجد ، والمحاكم ، وبعض الثكنات ، والمدارس ، والكليات ، لان الاحتكام في هذا الامر انتقل من طور المبادىء الى طور المصالح ، فمن كانت مصالحه متعارضة مع التعريب اقره باللسان ، وحاربه فى الميدان ، ومن كانت مصالحه متعارضة مع سيطرة اللغة الاجنبية على اللسان الوطنى (لسبب من الاسباب) تحمس للتعريب ونـــادى بضرورة سيادة اللغة الوطنية، رافعا قميص عثمان (الضحية) الى ان يتحقق المنال (···) فكيف عن المقال ، ولا نعدم الامثلة الكثيرة عمن سكت عن نداه ، بمجرد ان تعلم اللغة الفرنسية أو نال رضاه فى المساواة مع من كان أعلاه ···

وهكذا انتقل التعريب مع مرور الايام وتبدل الاحوال ، من مبدأ وطنى عام الى مبدأ (بطنى) خاص بأفراد أو فئات ، وفى غياب الاحتكام الى المبادىء العامة ظهـــر الاحتكام الى المصالح الخاصة ، وقويت حجة الاتهام بأن من جهل لسانا عاداه ، ومن فقد منصبا بكاه ، وميعت القضايا الجوهرية ، وقدمت المبادىء الوطنية قربانا على مذبح المصالح الفردية ، والفئوية ·

فذلك مثال حى لنتائج الاحتكام الى المصالح بدلا من المبادىء ، فى غياب المسلك الثورى الاصيل ، المتمثل فى تلازم الايمان مع العمل ، وتطابق الافعال مع الاقوال ، والاحتكام الى المبادىء الموضوعية الثابتة بدلا من الاحتكام الى المصالح الشخصية المتغيرة·

فذلك درس من المئات التى تزخر بها هذه الذكرى المجيدة · ولقد حاولت ان اجتهد فى استخلاص هذا الدرس الذى أرجو أن يكون مفيدا . واذ فعلت آمل ألا يفوتنى أجر الاجتهاد ، وان فاتنى أجر الاصابة ، وذلك اضعف الايمان !

ملامح عن ثورة أول نوفمبر الجزائرية

ومواقف دوغول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960

الدكتور يحيى بوعزيز
جامعة وهران



تعتبر ثورة أول نوفمبر 1954 الجزائرية، من الاحداث العالمية الكبرى فى التاريخ الحديث والمعاصر • وذلك لأن تأثيراتها تجاوزت الجزائر الى معظم أصقاع القارة الافريقية ، والى آسيا الجنوبية والغربية ، وأمريكا اللاتينية • فأيقظت الكثير من الشعوب النائمة والمغلوبة على أمرها ، وحفزتها على التحرر ، والانعتاق من السيطرة الاستعمارية (1) •

وعندما اندلعت هذه الثورة ، زعمت السلطات الاستعمارية فى بلاغاتها الرسمية ، أن متزعميها هم جماعة من « المقلقين » للأمن ، و « فلاقة » و « قطاع طرق » و «لصوص» « خارجون عن القانون » • دفعوا من جهات أجنبية • وبذل الفرنسيون كل ما فى وسعهم ، وامكانياتهم ، أن يقضوا عليهم ، ويضعوا حدا لنشاطهم •

---

1) انظر مقالنا بعنوان : مكانة ثورة أول نوفمبر بين الثورات العالمية ، ودورها فى تحرير الجزائر وافريقيا • مجلة الاصالة عدد 22 ، (الجزائر ـ نوفمبر ـ ديسمبر 1974) ص 138 ـ 150 •

ولكنهم فوجئوا بأحداث يوم 20 أوت 1955 فى كل مدن الشرق الجزائرى التى سفهت أحلامهم وكذبت ادعاءاتهم ، وأكدت لهم بأن ما يجرى ليس حوادث عابرة من طرف « فلاقة مقلقين للأمن خارجين عن القانون » ، وانما هى ثورة حقيقة ذات قيادة واعية ، وأهداف وطنية سامية ·

ولذلك أخذوا يكثفون من قواتهم العسكرية ، ويوسعون من عمليات التعذيب الاجرامية للمواطنين الجزائريين التى كشفتها الصحافة الفرنسية نفسها ومنها لوموند Le Monde · وبعض مراسيلها مثل كلود بوردى : Claude Bordie ، فى كتابه : المسألة La Question وتم عزل روجى ليونار من رئاسة الولاية العامة ، وعوض بالفيلسوف الفاشل جاك سوستيل ، الذى بادر الى التصريح بان فرنسا لن تغادر الجزائر مثلما لا تغادر مقاطعة لابروفانس ، ولابروطان ، وأعلنت حالة الطوارىء بصفة جزئية فى الأراس ، والقبائل ، وشرق مقاطعة قسنطينة · ثم مدت الى معظم أنحاء البلاد شرقا وغربا · وكان الغرض من اعلان حالة الطوارىء هذه ، ممارسة عمليات التعذيب بحرية ، وبصورة بشعة ، وواسعة ·

ولذلك مكنت حكومة قى موللى الاشتراكية ، الوزير المقيم بالجزائر ، من سلطات واسعة ، لحل كل الهيئات ، والجمعيات وتعطيل الصحف ، ومصادرة الأملاك · وتم التوسع فى تطبيق هذا القانون ليشمل حتى الجزائريين المقيمين بفرنسا ابتداء من عهد حكومة بورجيس مونورى ·

والى جانب تطبيق حالة الطوارىء ، أنشأت السلطات الاستعمارية ، فرق الميليشيات من المستوطنين الأوروبيين المتعصبين لمساعدة الجيش الفرنسى على تطبيق عمليات الايقاف ، والحجز ، والتعذيب ، رغم أن قوات الجيش الفرنسى أرتفعت الى أكثر من مائة ألف جندى مدعمين بسلاح الطيران ، والبحرية ، الى جانب الأجهزة الأخرى ·

وقد توقع العالم ، عندما تولى الحزب الاشتراكى ، الحكم والسلطة فى فرنسا فى مطلع عام 1956 ، أن يحقق حلا سلميا مشرفا للقضية الجزائرية ، كنتيجة لتصريحات قى موللى زعيم الحزب ، وأمينه العام ، خلال المعركة الانتخابية · ولكن شيئا من ذلك

لم يحدث لان قى موللى تراجع بسرعة عن أفكاره بعد أن تعرض « لضربات الطماطم » فى شوارع مدينة الجزائر صباح يوم 6 فيفرى 1956 من طرف المستوطنين الأوروبيين المتعصبين · وعين السفاح المجرم روبير لاكوست ، وزيرا مقيما بالجزائر ، بدلا من سوستيل ، وصمم على استعمال القوة للقضاء على الثورة باسم : « التهدئة » · وحشد ما يقرب من 400 ألف جندى لذلك ، وما آت من الدبابات ، وقاذفات القنابل ، وكل وسائل الفتك والتدمير الجهنمية ·

وابتكر الجلادون الفرنسيون أسلوب اقامة مراكز التجميع : Centres des quadrillages المتقاربة من بعضها البعض فى مناطق مختلفة ، وخاصة بلاد القبائل التى ركز ستوستيل عليها كمنطقة نموذجية لتحقيق تجربة « التهدئة » · وتم انشاء حوالى 517 مركزا من هذا النوع فى جبال جرجرة ، وحوض الصومام عامى 1956 ـ 1957 ·

ولكن النتيجة كانت عكس المأمول ، لأن الجيش الفرنسى جمد فى هذه المراكز ، بينما وجد جيش التحرير الحرية لممارسة نشاطه بكتائب صغيرة وخفيفة ، واضطرت القوات الاستعمارية أن تشن عمليات عسكرية ضخمة دعيت بعمليات « فور » نسبة الى الجنرال فور ، على منطقة القبائل الصغرى التى كانت محررة ، ومستقلة آنذاك · وذلك فى اطار « التهدئة » · ومارست عمليات التعذيب بشكل قاسى ، وواسع فى المدن الكبرى مثل وهران ، والجزائر ، لوقف نشاط جبهة التحرير الوطنى ·

ولم يتردد لاكوست فى تسليح فرق خاصة باسم « جيش التحرير الوطنى » ، ليطعن الثورة ويغدر بقادتها · وتفاءل بهذه العملية كثيرا لدرجة أنه أعلن أن الثورة فى : « ربع الساعة الاخير » من عمرها ولكنه فوجىء بتلك الكتائب التى أعدها ، وسلحها ، تلتحق بالثوار ، والمجاهدين ، بأسلحتها ، ومعداتها ، خلال عام 1956 ·

وفى مطلع عام 1957 ، استغل الجيش الفرنسى فرصة الاضراب الاسبوعى العظيم الذى دعت اليه جبهة التحرير الوطنى ، فارتكب مجازر ضخمة ، فى المدن الكبرى ، وخرب الدكاكين وحطمها ، ونهب ما بها من سلع وبضائع ، وقتل الناس بالجملة · وشاعت فى العالم عمليات التعذيب الجهنمية التى يمارسها الضباط الفرنسيون ضد الجزائريين · وكان من ضمن ضحاياها : القائد العربى بن مهيدى ، والمحامى على

بومنجل • ومدت السلطات الفرنسية حالة الطوارىء الى فرنسا ، وطبقتها على الجزائريين المقيمين هناك على أمل وضع حد لنشاط جبهة التحرير الوطني •

ونظرا لأهمية كل من تونس ، والمغرب الأقصى ، كقاعدتين خلفيتين للثورة الجزائرية تصلها عن طريقهما الامدادات اللازمة ، فقد شرع الجيش الفرنسي في انشاء حواجز ، وموانع ، متنوعة على حدودهما المتصلة بالجزائر شرقا وغربا • تتمثل في مد خطوط الأسلاك الشائكة المكهربة (خط موريس ، وخط شال) ، بعد أن فشل في سياسة « حق التتبع للثوار » داخل هذين البلدين الشقيقين •

ويتراوح عرض هذه الخطوط للاسلاك الشائكة بين 1296 مترا ، تتخللها الالغام ، والأضواء الكاشفة ، وأجراس الانذار • وتتولى حراستها مراكز عسكرية مكثفة ، ومزودة بوسائل النقل السريعة ، والقذف البعيد المدى •

وامتدت في الناحية الشرقية من عنابة على البحر شمالا الى مدينة تبسة جنوبا على أبواب الصحراء • وفي الناحية الغربية مد خط رئيسي قرب الحدود ما بين فيقيق ووجدة ، وأحيطت المدن القريبة من الحدود بهذه الاسلاك ، وفرضت عليها حالة منع التجول ليلا بصفة دائمة ، وحولت الى محتشدات •

ولكي يكون لهذه الاسلاك الشائكة مفعول كبير في تحطيم الثورة ، صادق البرلمان الفرنسي على القانون الاطاري : Cadres ، ورفضت حكومة فيليكس قايار ، وساطة تونس والمغرب ، وبرزت مشكلة الحدود على أشدها ، وصممت السلطات الفرنسية على استغلالها الى أبعد حد ، وبالغت في تحرشها ضد تونس والمغرب الأقصى في اطار ما زعمته لنفسها من « حق التتبع » للثوار الى داخل البلدين • وارتكب لاكوست حماقته الكبرى بتدميره لقرية « ساقية سيدي يوسف » التونسية بطائرات أمريكية مما دفع كلا من الولايات المتحدة الامريكية ، والمملكة المتحدة البريطانية ، الى التدخل ، ولكن وساطتهما فشلت بسبب ميولهما لوجهة نظر فرنسا ، ورفضهما التباحث في صميم المشكلة ، وهي القضية الجزائرية •

ولما لم تفد خطوط الاسلاك الشائكة ، في ايقاف نشاط الثورة ، فقد عملت السلطات الاستعمارية على اقامة مناطق محرمة في الحدود الشرقية ، والغربية ، وهجرت الناس بالجملة حول خطوط الاسلاك الشائكة • وتراوح عرض المنطقة المحرمة الشرقية بين 30 و 50 كلم • وامتد طولها من البحر شمالا الى قرية نقرين جنوب تبسة • وبلغ مجموع من هجروا منها في ظرف ثمانية أيام الى مدن وقرى : مشرية ، وعين الصفراء ، والابيض سيدى الشيخ ، والبيض ، وخيثر ، وغيرها ، وفرض عليهم حصار بالاسلاك الشائكة ، والمراقبة العسكرية الدائمة ليلا ونهارا ، وزرعت المنطقة بالالغام •

وانشىء في الحدود الشرقية « طريق الموت » بين خطوط الاسلاك الشائكة ، والمنطقة المحرمة • وزرع بالالغام القاتلة • ودعمت هذه المناطق المحرمة ، والاسلاك الشائكة ، وطريق الموت ، بالمراكز العسكرية المكثفة ، والاضواء الكاشفة ليلا ، وسلاح الطيران ، والسيارات السريعة التي تتدخل بسرعة عند الحاجة نهارا ، وفي الليل •

وحتى تكسب حكومة قايار ، تأييد دول جنوب غرب أوروبا ، وتمنع تونس والمغرب الاقصى ، من تأييد الثورة الجزائرية ، وتقديم العون لها ، اقترحت عقد حلف دفاعي بين دول حوض البحر المتوسط الغربي تقدم فيه الجزائر كأقليم فرنسي • وتضم اليه تونس والمغرب • ولكن هذه الفكرة لم تصب نجاحا ، ولم تجد صداها لدى الدول المعنية بأوروبا وشمال افريقيا •

ولما فشلت كل هذه المشروعات الفرنسية ، العسكرية ، والسياسية تمرد الجيش الفرنسي بالجزائر غداة 13 ماى 1948 بزعامة جاك سوستيل ، والجنرال سالان ، وأتى بالجنرال دوقول الى الحكم لينقذ فرنسا من الانهيار ، ويضمن بقاء خرافة « الجزائر فرنسية » الى الأبد •

وقد استهل دوقول سياسيته بشن عمليات عسكرية ضخمة كثيرة العدد ، طويلة المدة ، في اطار ما عرف « بمشروع شال » الضخم ، بعد أن فشلت عمليات « التهدئة » و « التطهير » ، الواسعة للمناطق التي ينعتونها « بالمتعفنة » • لكونها تعفنت بالثوار والمجاهدين ، والتي كانت تتم في خلال أسبوعين الى ثلاثة •

وقد اعتمد مشروع شال العسكرى على الأسس التالية :

أولا : غلق الحدود الشرقية والغربية بالاسلاك الشائكة المكهربة ، والمناطق المحرمة، والالغام ، والمراكز العسكرية .

ثانيا : ابادة فرق جيش التحرير الوطنى فى الجبال ، والارياف ، من الناحيـــة السعكريـة .

ثالثا : تحطيم نفوذ جبهة التحرير الوطنى ، والقضاء عليها فى القرى والمدن من الناحية السياسية .

رابعا : استحداث ادارة مخلصة للجيش الفرنسى تحل محل جبهة التحرير الوطنى.

وخطط لتنفيذ المشروع على الشكل التالى :

أولا : المحافظة على مراكز التربيع ، مع تطويرها ، وتصغير حجمها .

ثانيا : تشجيع الفرق العسكرية الفرنسية على الحركة الدائبة والمستمرة ضد جيش التحرير الوطنى .

ثالثا : تكليف سلاح الطيران بالمراقبة المستمرة ، والمتابعة السريعة .

رابعا : تجنيد المزيد من جنود « القوم » و « الحركة » الجزائريين ، للمساهمة فى العمليات العسكرية ضد المدنيين الجزائريين .

خامسا : القيام بعمليات عسكرية جوية وبرية كثيرة لتطهير البلاد من الثـوار ، منطقة فمنطقة .

سادسا : احتلال المناطق « التى طهرت من الثوار » مدة طويلة للتاكد من ابـــادة جيش التحرير الوطنى ، والقضاء عليه بصفة نهائية .

أما مراحل تنفيذ مشروع شال فقد حددت وانجزت على الشكل التالى :

أولا : تطهير ولاية وهران بين فيفرى وأبريل 1959 .

ثانيا : تطهير جبال الونشريس خلال شهرى أبريل وماى .

ثالثا : تطهير جبال الظهرة خلال جوان ، وجويلية •

رابعا : تطهير بلاد القبائل خلال فصل الصيف •

خامسا : تطهير منطقة الشمال القسنطيني فى أواخر فصل الصيف •

وفى اطار هذا المشروع الضخم • شن الجيش الفرنسى عمليات عسكرية ضخمة وكثيرة على معظم الجزائر الشمالية من الحدود الغربية الى الحدود الشرقية •

ومن ضمن هذه العمليات :

1 ـ عملية الضباب Brumaire على بلاد القبائل فى شهر أكتوبر 1958 بقيادة الجنرال فور •

2 ـ عمليات الجنرال جيلى على جبال وهران خلال نفس الشهر •

3 ـ عمليات الجنرال مايو على مناطق الاخضرية (باليسترو سابقا) وجنوبها ببلاد القبائل •

4 ـ عمليات الغرب الوهرانى فى تلمسان ، ومعسكر ، وبلعباس ، وسعيدة ، وأفلو ، والجلفة ، وجبال عمور •

5 ـ عملية التاج أو الاكليل Couronne ، على جبال الونشريس بقيادة الجنرال قراسيو •

6 ـ عمليات المجهر : Les Jumelles على بلاد القبائل الصغرى فى صيف 1958 •

7 ـ عملية الشرارة : Etincelle على مناطق جبال الحضنة بقيادة شال نفسه •

8 ـ عمليات الاحجار الكريمة : Emeraude et turquoise على جبال الشمال القسنطينى •

9 ـ عملية رباط أو سير الجلد : Courroie على جبال الونشريس ، والأطلس البليدى ، وزكار ، والظهرة •

10 ـ عملية القرن : Tentacule على جبال الضاية •

11 _ عملية الصرصور : Cigale على جبال الونشريس ·

12 _ عملية ماراثون : Marathon على منطقة الحدود الشرقية ·

ورغم ضخامة هذه العمليات العسكرية ، وكثافتها ، وشمولها لمعظم أنحاء البلاد ، فان مشروع شال فشل فى تحقيق أهدافه · ولذلك التجأ الجيش الفرنسى الى اقامة المحتشدات ، ومراكز التجمع الضخمة · وحشد السكان اليها ، ليفصلهم عن جيش وجبهة التحرير الوطنى · فتم انشاء حوالى 1500 محتشدا ، حشر داخلها حوالى ثلاثة ملايين شخصا · وأحيطوا بالاسلاك الشائكة ، والمراكز العسكرية وفرق القوم ، والحركة ، وسلطت عليهم حياة البؤس ، والحرمان ، والفاقة ، والقساوة ·

ومع تنشيط أسلوب انشاء مراكز الاحتشاد ، تم التوسع فى انشاء فرق «الحركة والقومية » ، وضباط مصالح الشؤون أو الصاص Service des Affaires Sociales لممارسة عمليات التعذيب بمختلف أشكالها وأنواعها ، وأساليبها ·

ولم يهمل الفرنسيون حتى ممارسة القرصنة الجوية والبحرية · فراقبوا 142,786 باخرة ، وأوقفوا 2076 باخرة ، وفتشوا 217 باخرة ، وساقوا الى الموانىء 115 باخرة تنتمى الى جنسيات : يوغوسلافية ، وتشيكية ، وبولندية ، وايرلندية ، وانجليزية ، وهولندية ، وألمانية ، ودانماركية ·

ورغم كل هذه الوسائل الجهنمية التى استعملتها فرنسا ، فان ثورة أول نوفمبر واصلت سيرها ، وسارت من نصر الى نصر · فما هى أهم المراحل التى مرت بها وقطعتها ؟

لقد اندلعت هذه الثورة المسلحة ليلة الاثنين أول نوفمبر 1954 على الساعة الواحدة بعد منتصف الليل · وكانت الخطة تقضى باتباع حرب « الكمين » بأسلوب «العصابات» فى تشكيلات خفيفة قادرة على الحركة والكر والفر بسرعة ، والحاق الضربات القاسية بالعدو ، وانهاك قواته ، وتشتيتها ، والاختفاء بسرعة ·

وظهر منذ البداية نظام تقسيم الثوار الى اصناف ثلاثة : جنود ، وفدائيين ، ومسبلين، وانيطت بكل صنف أعمال خاصة ومحددة تقريبا · وكانت الثورة صدمة للعدو أفقدته

صوابه ، وأثرت فى أعوانه الذين كانوا يخدمونه باخلاص ، فاعلن 46 نائبا جزائريا من المجلس الجزائرى عن ضرورة تطبيق مبدا المساواة بين الجزائريين والأوروبيين . وليس ذلك من أهداف الثورة طبعا . وعرف العالم لأول مرة فى شهر جوان 1955 بأن قادة الثورة الجزائرية قسموا البلاد الى ست ولايات عسكرية مرقمة هى :

1 ـ ولاية الأوراس .

2 ـ ولاية السمندو (شمال قسنطينة) .

3 ـ ولاية القبائـل .

4 ـ ولاية الجزائر العاصمة وأحوازها .

5 ـ ولاية وهران (الغرب الوهرانى) .

6 ـ ولاية الصحراء (جنوب البلاد) .

وفى يوم 20 أوت 1955 خطت الثورة خطوة أخرى هامـــة الى الأمام ، فنظمـت هجومات عسكرية كاسحة على عشرين مدينة من مدن الشرق الجزائرى على الساعـــة الثانية عشر ظهرا ، وفاجأ الثوار ، القوات الاستعمارية فى سكيكدة ، والقل ، والميلية، وقسنطينة ، والخروب ، وعين عبيد ، ووادى الزناتى ، وغيرها . وكان مـــن ضمن أسباب وبواعث هذه الهجومات الكاسحة والشاملة :

أولا : توسيع رقعة الثورة ومدها الى جهات كثيرة من البلاد .

ثانيا : ازالة الغموض ، ومظهر الاحتشام لدى سكان الارياف حـــول أهدافهـا ومراميهـا .

ثالثا : وضع حد للتردد الذى كان ما يزال يــــراود بعض الهيئات والاحـــزاب السياسيــة .

رابعا : قطع الطريق على بعض العملاء الجزائريين الذين كانت الولاية العامة تسعى لاعدادهم لتطعن الثورة بهم .

خامسا : اعطاء الدليل القاطع للأمم المتحدة على أن ما يجرى بالجزائر هو ثـورة وطنية ، تحريرية ، يقودها ثوار ذووا أهداف وطنية ، وليسوا قطاع طرق خارجـين عن القانون كما يدعى ويزعم الفرنسيون ٠

سادسا : اعطاء الدليل القاطع على أن الجزائر عربية اسلامية ، لان الحوادث جرت بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة ، وهذا ما يؤكد تمسك الثورة بالاسلام ٠

سابعا : التضامن مع الشعب المغربى الشقيق فى مأساته بمناسبة الذكرى الثانية لخلع السلطان محمد الخامس عن عرشه ٠ وبذلك أعطت الجزائر شعب ، وثورة ، المثل فى التضامن حتى فى أحلك أيامها وأتعسها ٠

وهكذا كان لأحداث 20 أوت 1955 ، آثار بالغة الاهمية فى الداخل وفى الخارج ٠ أدت الى تمرد الجنود الفرنسيين فى الثكنات ، ورفضهم الذهاب الى الحرب فى الجزائر الذى يعنى الذهاب الى الموت فى سبيل قضية غير عادلة ٠

وخلال خريف عام 1955 (وفى شهر أكتوبر) ، نضمت الثورة الجزائرية ، ولاية وهران الخامسة ، وكثفت العمليات العسكرية بها ، فى اطار مخطط عام مسبق ٠ ومن أهداف ذلك تشتيت قوات العدو ، وكسب أنصار جـــدد ، ومدافعين ، ومؤيدين فى الخارج ، خاصة فى الامم المتحدة التى عرضت عليها القضية لتدرسها ، واضطر الوفد الفرنسى أن ينسحب من الهيئة يوم 2 أكتوبر احتجاجا على ما اسماه بالتدخل فى شؤون فرنسا الداخلية ٠

وقد تمرد الجنود الفرنسيون مرة أخرى فى روان ، وفالانس ، وطولون ، ورفضوا الذهاب الى الجزائر للحرب ٠ وتمكن القائد مصطفى بن بولعيد من الفرار من سجن قسنطينة ، بصحبة أحد عشر شخصا من رفاقه ٠

وفى مطلع عام 1956 تأكدت الاحزاب المترددة من أصالة هذه الثـورة وقـوتها ، وصمودها ٠ فأعلن زعماء حزب الاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى انضمامهم اليها بعد تردد دام ثمانية عشر شهرا ٠ وأسست جبهة التحرير الوطنى ، الاتحاد العـــام للعمال الجزائريين . واستقال نواب الجزائر الستون فى المجلس الجزائرى ، احتجاجا على

حرب الابادة ، وتوقف الطلبة الجزائريون عن الدروس في المعاهد والجامعات الى أجل غير مسمى ، والتحقوا بصفوف جيش وجبهة التحرير الوطني في المدن ، والقـرى ، والارياف ، والجبال وبذلك عمت الثورة كامل فئات الشعب الجزائرى • وقضى على خرافة « الفلاقة » و « قطاع الطرق » و « الخارجون عن القانون » •

وفي صيف عام 1956 ، خطت الثورة خطوة أخرى جديدة ، وهامة ، فعقد قادتها مؤتمر الصومام التاريخي يوم 20 أوت 1956 في قرية « أوزلاقن » بجبال أكفادو شمال مدينة أقبو على الضفة الغربية لوادى الصومام بالقبائل • وتم فيه وضع اطار نظامي لجيش التحرير الوطني ، وحددت سياسة جبهة التحرير ومهامها ، كما حددت الشروط الأساسية لمفاوضات السلم ، ومواصلة الحرب ، وأسست هياكل أساسية للثـورة اهمها : المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، ولجنة التنسيق والتنفيذ • وبذلـك كان مؤتمر الصومام خطوة تاريخية هامة للثورة في الميدانين : السياسى والعسكرى •

وفي مطلع عام 1957 ، استهلت الثورة الجزائرية أعمالها بافتتاح « اذاعة صوت الجزائر الحرة المكافحة » التى كانت تذيع أخبار الكفاح المسلح ، ومعارك جيش التحرير وانتصاراته ، ونشاط جبهة التحرير السياسى • ونظمت جبهة التحريـر الاضراب الاسبوعى العظيم في أواخر شهر جانفى 1957 الذى كشف للاستعمار الفرنسى عـن مدى تعلق الشعب الجزائرى بالثورة والجبهة معا •

واصدرت الجبهة الطبعة الموحدة لجريدة المجاهد الاسبوعية بدلا من جريدة المقاومة التى كانت تصدر في طبعتين مختلفتين • وانعقد المؤتمر الثانى للمجلس الوطنى للثورة الجزائرية بالقاهرة • ودشنت الثورة افتتاح جبهة الصحراء باشعال الحرائق في آبار البترول خلال سبتمبر 1957 •

وفي مطلع عام 1958 جددت الثورة رغبتها في التفاوض عـلى أساس الاعتـراف باستقلال الجزائر • وأيد مؤتمر أكرا ، ومؤتمر طانجة (في أبريل) ، مساعى الجبهة السلمية ، وأكدا على انها الممثل الوحيد للشعب الجزائرى • وأنضم اتباع بللونيسى المصاليون اليها بعد أن تأكدوا من قوتها • ونددت الجبهة باتفاق تونس مع شركـة

البترول الفرنسية لنقل البترول الجزائرى عبر ترابها من حقول ايجلى الى ميناء السخيرة فى خليج قابس · ونشرت فى جريدة المجاهد مقال : الخبز المسموم ، الذى احدث أزمة بينها وبين الحكومة التونسية . ونقلت الجبهة الاعمال الفدائية الى فرنسا نفسها لتثبت للفرنسيين قدرتها على العمل فى أى مكان ·

وفى سبتمبر 1958 ، تقدمت الثورة خطوة أخرى سياسية الى الأمام ، فألفت : « الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية » فى المنفى لتكون أداة للمفاوضات المقبلة مع الحكومة الفرنسية ، واعترفت بها دول عديدة تجاوزت العشرين ، وأيدها مؤتمر أكرا، ووفود الامم المتحدة ·

وفى مطلع عام 1959 أنضم عدد آخر من المصاليين المنشقين الى الثورة · وحذرت الجبهة ، الشركات الاستعمارية من البحث والتنقيب عن البترول والغاز فى صحراء الجزائر ، وشن المجاهدون هجوم عنابة التاريخى فى وضح النهار ، خلال شهر ماى ، وأرتفعت أصوات من الكونقرس الامريكى ، تدعو للاعتراف بحق الشعب الجزائرى فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير ·

وكنتيجة لصمود الثورة ، وزحفها الى الأمام بقوة ، وهزائم الجيش الفرنسى المتوالية ، اضطر الجنرال دوقول ، مكرها ، الى اعلان مبدأ حق تقرير المصير للجزائر ، فى تصريح 16 نوفمبر 1959 ، وذلك لأول مرة منذ عام 1830 م ، بعد ان قام بعدة سفرات ، وجولات الى الجزائر ، واطلع بنفسه على الاوضاع .·وأدرك أن القضاء على الثورة أمر مستحيل ، فردت عليه جبهة التحرير بقبول مبدأتقرير المصير رغم ما فيه من القيود · وفعل مثلها المجلس الوطنى للثورة الجزائرية الذى انعقد للمرة الثالثة بطرابلس أواخر عام 1959 ومطلع عام 1960 ·

ولكن جبهة التحرير نددت بشدة ، بفكرة التقسيم للجزائر على الأساس الطائفى ، الذى أخذ يراود الاوروبيين ، ودوقول نفسه · وجاءت مظاهرات ديسمبر 1960 لتضع حدا لكل الألاعيب ، والمساومات · فما هى حقيقة هذه المظاهرات ؟ وما مدى تأثيرها على مسيرة الثورة ؟ وعلى سياسة دوقول نفسه ؟

3

لقد جاء دوقول الى الحكم بفضل تمرد ضباط الجيش الفرنسي يوم 13 ماى 1958 ، ولكن الأوروبيين ، وقواد الجيش ، لما تأكدوا من أنه لا يسير فى ركابهم ، ولن يصبح أداة طيعة فى أيديهم ، حاولوا التمرد عليه ففشلوا ، وفوت هو الفرصة عليهم ، فأشترط أن تمنح له السلطات الاستثنائية من البرلمان ٠

وقد مرت سياسته تجاه الثورة الجزائرية بالمراحل التالية :

أولا : مرحلة الجزائر الفرنسية ٠ وعامل الجزائر خلالها كاقليم فرنسى ، وطالب من سكانها الجزائريين أن يصوتوا بنعم أولا ، على دستور الجمهورية الخامسة ، بينما طالب من سكان المستعمرات الأخرى فى افريقيا أن يصوتوا على مبدا البقاء أو الانفصال عن الاتحاد الفرنسى ٠ وخصص للجزائر 66 مقعدا فى البرلمان الفرنسى منها 44 للجزائريين ، و 22 للأوروبيين ٠ وخصص لها 32 مقعدا فى مجلس الشيوخ ٠ وسخر الجيش الفرنسى لتحقيق الأمل الذى كان يراوده ، وهو القضاء على الثورة ٠ وأعلن فى مدينة قسنطينة أواخر عام 1958 عن مشروع اقتصادى كمحاولة لخنق الثورة وأجهاضها على أساس أن اسبابها ، فى زعمه ، اقتصادية واجتماعية ٠ وطالب الثوار أن يستسلموا ، ويسلموا أسلحتهم ، ويرفعوا العلم الابيض فى اطار ما دعاه : «سلم الأبطال الشجعان» ٠

ثانيا : مرحلة التردد : بعد أن فشلت مشاريعه السابقة ، فأخذ يفكر فى أسلوب جديد ، واعلن فى خطاب له يوم 8 جانفى 1959 بمناسبة انتخابه رئيسا للجمهورية ، بأن الجزائر ستكون لها مكانة ممتازة داخل المجموعة الفرنسية ، وفى نفس الوقت راوغ كثيرا ، وحاول أن يستميل اليه الأوروبيين والجزائريين معا ٠

ثالثا : مرحلة تقرير المصير : وذلك بعد أن تأكد من قوة وصلابة الجبهة ، وضعف تأثير مشروع قسنطينة الاقتصادى ، والاجتماعى ، وعجز وفشل الجيش الفرنسى فى القضاء على جيش التحرير ٠ فبعد أن زار دوقول الجزائر فى شهر أوت ، ودرس الاوضاع عن كثب ، أعلن فى بيان له يوم 16 نوفمبر 1959 عن مبدأ حق تقرير المصير للجزائريين بعد أربع سنوات من تحيقق التهدئة التى حددها بعدم زيادة القتلى عن مائتى شخص فى العام ٠ وذلك على الشكل التالى :

1) التصويت على الاستقلال والانفصال ·

2) التصويت على الاندماج مع فرنسا ·

3) التصويت على الفدرالية مع فرنسا ·

4) مرحلة الجزائر الجزائرية : وتتمثل فى خلق الجزائر الجزائرية بدون جبهة التحرير الوطني ، ولتحقيق ذلك ألف فى شهر جويلية 1960 لجنة من 120 عضوا ينتمون الى مجلس البرلمان ، ومجلس الشيوخ ، والمجالس الاقليمية ، والغرف التجارية ، والفلاحية ، وشيوخ البلديات ، والمستشارين البلديين ، ووزعوا الى أربع لجان فرعية هى :

1) لجنة الاصلاح المالى ·

2) لجنة الاصلاح الادارى ·

3) لجنة الاصلاح الزراعى ·

4) لجنة الهيئات والفئات السكانية ·

واعتمد دوقول فى خلق الجزائر الجزائرية بدون جبهة التحرير الوطنى على عدة عوامل أهمها : تعب السكان من الحرب ، وميلهم لمساندة أى حل سلمي مهما كان ضئيلا حسبما كان يظن ويعتقد · وطالب بوقف الاعمال الفدائية قبل الشروع في المفاوضات ، ويوضع السكين أو الخنجر خارج طاولة المفاوضات · وصرح بعبارة : « الجمهورية الجزائرية » لاول مرة فى أوائل نوفمبر 1960 ، التى ستوجد فى المستقبل · وأعلن عن استعداده لقبول قيامها ما دام الجزائريون يريدون ذلك ، غير أنه أصر على عدم التفاوض مع جبهة التحرير ، لان « الجزائر الجزائرية » ستكون للجزائريين « فى الجزائر » وليس « فى الخارج » كما يزعم ·

وتمشيا مع هذه الخطة ، حاول دوقول أن ينشىء « قوة ثالثة » ، وأعلن عن عدم اشتراط ضرورة انهاء القتال للشروع في تزويد « الجزائر الجزائرية » بأجهزتها الادارية الخاصة · فأجريت الانتخابات الاقليمية ، وتحصل أنصاره على الأغلبية · وعارضوا فكرة الأدماج ، وسعى لتدعيم مركزهم ، فانشأ جيشا جزائريا لهم من

« القومية والحركية » اطلق عليه اسم الحرس Les Gardes أو العسه ٠ وهو جيش عديم الفعالية طبعا ٠

ولكى يوفر فرص النجاح لمشروع الجزائر الجزائرية ، زار الجزائر بنفسه يوم 10 ديسمبر 1960 ليقوم بالدعاية له ، ويشرحه للسكان شخصيا ، خاصة المستوطنين الأوروبيين ٠ ولكن هؤلاء الأخيرين أحسوا بأن رياح التطور ، ومجرى الحوادث تسير ضدهم ، ولغير صالحهم ، وأدركوا أنهم اذا لم يتحركوا ، ويقوموا بعمل ما مضاد ، فسيرمون فى البحر كما كانوا يشعرون ويشيعون ٠

ولذلك فانهم بمجرد أن علموا بخبر زيارته للجزائر ، قرروا القيام باضراب عام شامل ، وبمظاهرات صاخبة فى اليوم الذى يسبق زيارته للجزائر ، حتى يشعروه بغضبهم ونقمتهم على سياسته ، وليؤثروا عليه حسب زعمهم ، كما إثروا قبل ذلك فى قى مولى عام 1956 ٠ فيتراجع عن مشاريعه وخططه ٠ وتحمست للعمل منظمتهم التى اطلقت على نفسها اسم : « جبهة الجزائر الفرنسية » ٠

ولكى يبرزوا غضبهم ونقمتهم ، قاموا بأوسع حركة للارهاب فى مدينتى الجزائر ، ووهران ، راح ضحيتها ، حسب التقارير الفرنسية نفسها حوالى 500 جزائرى وحاولوا ارغام الجزائريين بالقوة على الانضمام الى حركتهم ، والمناداة بشعار : « الجزائر فرنسية » ، مثلما فعلوا ذلك خلال تمرد 13 ماى 1958 ، حتى يؤكدوا خرافة : « الأخوة الفرنسية الاسلامية » ٠

ولكن الجزائريين ، فى هذه المرة ، كانوا اقوى ، وأصلب ، منهم ، وأشجع وأشد مراسا ٠ فقرروا أن يعطوا لهم درسا تاريخيا فى معنى الأخوة ، والوطنية ، ويؤكدوا للسلطات الاستعمارية مدى اغترارها بالهدوء الظاهرى الذى علقت عليه الآمال العريضة ٠ فقاموا بتنظيم مظاهرات معاكسة بلغت الذروة فى العنف ، والشدة ، والقوة والصمود ، والتحمل ، رغم كل الوسائل الجهنمية التى استغلت ضدهم لارغامهم على العودة الى الهدوء والسكينة ٠

وقد انتظمت هذه المظاهرات فى معظم مـــدن الجزائر الكبرى وخاصة : الجزائر العاصمة ، ووهران ، وبلعباس ، والاصنام ، وشرشال ، وتيبازة ، والبليدة ، وبجاية ، وقسنطينة ، وعنابة • واستمرت من يوم 10 الى يوم 16 ديسمبر 1960 ، ولم تتوقف الا عندما وجهت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية نـــداء الى الشعب الجزائرى لايقافها ، بعد أن حققت الغرض المطلوب منها •

وقد اتسمت هذه المظاهرات بالعنف ، والشدة ، والقسوة ، خاصة بوهران ، وأحياء الجزائر العاصمة الكبرى مثل بلكور ، والحراش ، وصالامبى (المدنية حاليا) والقصبة وحمل السكان خلالها الأعلام الوطنية ، ونادوا بشعارات : « تحيا الجزائر » و « يسقط الاستعمار » و « تحيـــا جبهة التحرير » و « الاستقلال للجزائر » • واندفع الرجـــال ، والنساء ، والأطفال ، الى التظاهر متحدين الدبابات ، والرشاشات ، والقنابل • ورسم الجرحى بدمائهم الأعلام الوطنية ، وشعارات : « الاستقلال » و « الحرية » • ولعـــب اليهود دورا بارزا مع الأوروبيين فى الارهـــاب ، والاعتداء عـلى الحرمات ، والمقدسات الاسلامية كالمساجد ، وحرمات النساء •

4

لقد كانت لمظاهرات ديسمبر 1960 ، نتائج بالغة الأهمية ، بالنسبة لمسيرة الثورة الجزائرية ، اذ كانت بمثابة بعث جديد للمقاومة الشعبية الجماهيرية فى المدن والحواضر الجزائرية التى كان الاستعمار الفرنسى يدعى ويتبجح بأنـــه قضى عليها تماما ، وأن الشعب الجزائرى أصبح صديقا حميما للجيش الفرنسى الذى يقوم بتصفية ما سموه : « البقايا الأخيرة » لفرق جيش التحرير الوطنى فى الجبال والارياف •

اغترت السلطات الفرنسية كثيرا بذلك الهدوء النسبى الذى ساد المدن الجزائرية خلال عامي 1959 و 1960 • وزين لها الخبراء النفسانيون من هيئـة ضباط الصاص (مصالح الشؤون الاجتماعية) بأن نفوذ جبهة التحرير الوطنى قد انهار تماما ، وأن السكان أصبحوا لا يثقون بها ، ويتمنون أن يتمكن جيش الاحتلال من تصفية الثورة ، والقضاء عليها تماما حتى يخلدوا الى الهدوء والراحة •

وكانت دهشة الادارة الاستعمارية شديدة ، وبالغة ، عندما واجهها ذلك الفيضان الشعبى الهادر الذى اكتسح معظم المدن الجزائرية مثل الطوفان ، وهو ينادى بسقوط الاستعمار ، وحياة الثورة ، وجبهة التحرير ·

ولكن دهشة الجنرال دوقول كانت أشد ، وأبلغ أثر ، لان الواقع الذى شاهده ، وعاينه ، بنفسه كان معاكسا تماما للتقارير التى كان يرفعها اليـه مستشاروه مـن الجزائر ، والتى تصف له خلود الشعب الجزائرى الى الهدوء ، والسكينة ، وموت جبهة التحرير الوطنى فى المدن ، وقرب نهاية جيش التحرير فى الجبال · فادرك أن السلطات الاستعمارية بالجزائر تكذب عليه ، وتزور له الوقائع والأحداث ، وتأكد من أنه كان يتصور فى ذهنه قوة الأوروبيين بالجزائر أكثر مما هى فى الواقع ، ويتصور قوة الجزائريين أقل مما هى فى الحقيقة والواقع ، كما قالت ذلك جريدة بريطانية ·

وقد عبر دوقول عن دهشته هذه بقوله : ان ما رأيته وسمعته هو واقع ، ويجـب أن نقبله ، ونزن به المشكلة الجزائرية الوزن الصحيح · فاسرع فى قطع رحلته ، وعاد الى باريس ، وشرع فى انتهاج مرحلة جديدة ، وأخيرة ، تجاه الثورة الجزائرية ، وهى : الاعتراف بجبهة التحرير الوطنى كممثل شرعى ووحيد للشعب الجزائرى ، والدخول معها فى المفاوضات المباشرة التى انتهت باعترافه ، مرغما ، بحرية الجزائر الكاملة ، واستقلالها التام والشامل عام 1962 ·

وقد تأكد الفرنسيون بالجزائر ، بعد هذه المظاهرات ، بأن نهايتهم الحتمية قـد أزفت ، وأن رحيلهم عن الجزائر ، بات وشيكا ، وأمرا محققا · فعبر أحدهم عن ذلك الى جريدة لوموند (العالم) الفرنسية يوم 14 ديسمبر 1960 ، وقال : والآن لم يبـق لنا الا ان نحاول المحافظة على الأمن ريثما نحزم امتعتنا ، ونركب الباخرة · فرد عليه آخر بقوله : لقد دقت ساعة الحقيقة ·

والحقيقة أن المستوطنين الأوروبيين ، قد جنوا على أنفسهم الصخب الذى أثـاروه ضد دوقول فى مظاهرات يومى 8 و 9 ديسمبر · وضاعفوا من هذه الجناية على أنفسهم

بعد امضاء اتفاقية ايفيان ، وايقاف اطلاق النار يوم 19 مارس 1962 ، عندما أسسوا : منظمة الجيش السرى الارهابية •

وبذلك أصبح لا مفر من أن يرحلوا عن الجزائر بدون مهلة ، وبصفة جماعية ، والى غير رجعة • وأراح الله الجزائر والشعب الجزائرى من شرورهم ، ومتاعبهم المستقبلة ، وكان ذلك رحمة من الله ويمنا ، وبركة ، على هذا الشعب ، وهذا البلد •

فى مفهوم الثورة والنقد الثورى

د٠ عمار طالبى

أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر



ذاع فى عصرنا هذا عدد من المفاهيم ، الاجتماعية والسياسية والفلسفية ، واختلطت معانيها فى أذهان الناس بالرغم من البحوث والدراسات الكثيرة التى عالجت هذه المفاهيم ٠ لكن كانت هذه الدراسات فى بلاد اجنبية عنا لها مستواها الحضارى وامكانياتها العلمية التى تتيح لها البحث الدقيق والنظر العلمى القائم على الوقائع المعاصرة وتحليلها والخروج من ذلك بنظريات ونتائج قد تكون ذات مفعول تطبيقى ، حتى ان كثيرا من الدراسات الاجتماعية والسياسية التى قام بها الامريكان كان الغرض منها معرفة عناصر القوة فى الثورات من أجل القضاء عليها ومنعها أو تحويلها الى أهداف أخرى مضادة للثورة الحقيقية ٠ وهو ما يسمى بالثورة المضادة ، اذ انه ـ كما قال مالك بن نبى ـ لا يكفى اطلاق الثورة وتفجيرها بل ان المشكلة الاساسية فى النقد الثورى هى المراقبة الدقيقة لسيرها تحميها فى تطورها ، وايجاد نظرية تحليلية تجعل هذه المراقبة فى الامكان لكشف الاخطاء ومعالجتها ٠

اذ انه يمكن تفجير الطاقة الثورية فى نفوس الجماهير ، واثارة الوعي بالظلم الذى تراكمت آثاره فى النفوس ، وربما يكون هذا أمرا ميسورا ، ولكن العنصر الفعال هو عنصر القيادة ووحدتها وتوجيهها لهذه الطاقة توجيها فنيا ، ومعنى ذلك أنه

بجانب تلك القوة النفسية التى ينطوى عليها الجمهور ، يكون من الضرورى وجـود عنصر فنى يحدد للثورة غايتها ووسائلها واستراتيجيتها التى تحفظ وجودها وتضمن استمراريتها حتى لا يتمكن العدو من الوصول الى داخلها للقضاء عليها وتحويـل مجراها ، وهذا ما يجعل كثيرا من البلاد الاسلامية أنها « تجـد نفسها بعد الثورة فى وضع كان سابقا على الثورة وربما أسوأ مما كان بل وقـد تجد نفسها فى ظـل ايديولوجيات لا يعرف فيه الابطال الذين سقطوا فى ميدانها الافكار التى سقطوا من أجلها » (I) ·

وربما يحدث أن يعتقد بعض الناس الذين اذا نبهوا الى بعض الانحرافات فى بداياتها أنها تستخفى تلقائيا ، وينصحون لنا بترك الامور فانها ستعود وحدها تلقائيا الى مجراها الطبيعى (2) ·

قد ينتهي تطور الثورة الى ثورة مضادة مقنعة تنطلق فى وقت محدد لتحتـل مراكز استراتيجية قبل أن تحتلها الثورة الحقيقية ، فالثورة الحقيقية تأخذ فى التخلى يوما بعد يوم عن مكانها لثورة مضادة تستخدم اسمها وصفاتها الظاهرة ووسائلها لقتلها وشغل مكانها مع المحافظة على مظاهر الثورة الاولى التى تصبح كالستائر التى تدور خلفها عمليات قلب خط السير ··· » ويعتبر مالك بن نبى هذه الظاهرة هى المشكلة الجوهرية فى كل نقد ثورى (3) ·

وذلك انه بالاضافة الى عيوبنا الداخلية عيوب المجتمع المتخلف وأخطائه هناك عملية « توليد الاخطاء » والمولد لها هو الذى يلعب فى مسرح السياسة والـذى نسميه بالاستعمار الذى يبنى أموره السياسية على أمور نفسية يعرفها جيدا ولا تكاد نتائجه تخيب فى عالم يعتمد على الانفعال وعلى الاوثان من الاشخاص وتلقائيـة السلوك اللاارادى ·

والسبب فى ذلك فيما يرى أن « المفاهيم والآراء لا تتأسس فى عالم الافكـار وانما فى عالم الاشخاص » (4) ·

(I) مالك بن نبى ، مشكلات الافكار فى العالم الاسلامى، مكتبة عمار ، القاهرة I97I ص I60 ·

(2) المرجع نفسه ، ص I62 ·

(3) المرجع نفسه ، ص 163 ·

(4) المرجع نفسه ، ص I64 ·

وتحاول أجهزة الاستعمار أن تمنع كل سبيل أمام النقد فى الحياة السياسية فى البلاد الاسلامية وخاصة اذا كان الامر يتعلق بتكوين ثورة مضادة فى الظلام أو لاخفاء أسبابها اذا كانت قد تكونت بالفعل ٠

فالاخطاء التى تؤثر فى التطور الثورى فى نظر مالك بن نبى نوعان : أخطاء طبيعية وأخطاء مولدة ولكن السبب واحد وهو يكمن فى حياتنا النفسية ، وذلك ان « طغيان الشيء وطغيان الشخص هما اللذان يسيطران على عقولنا » (5) ويذهب الى القول بأن هذه الاسباب يمكن أن تختفى عندما تبسط الافكار سلطانها على عالمنا الثقافى لاننا عند ذلك يسترجع تقديرنا للامور عامة وفى مجال السياسة خاصة طابعه المنهجي الشامل ورؤيته الواضحة للاشياء فى وحدة وتركيب متكامل ٠

ليست الثورة مجرد عملية عنف وكفى كما يزعم فانون والا لم تعد ان تكون عملية تمرد لا هدف لها ٠

ذلك أن الثورة فى معناها العام هي التغيير السريع الاساسى الذى يحدث فى الظروف السياسية والاجتماعية معا وذلك حينما يطاح بحكم قائم ليأخذ مكانه نظام جديد ٠ وقد تدل على تغييرات جذرية الا انها غير سياسية الطابع ، وتكون هذه التغييرات أحيانا تدريجية وبدون عنف كما تدل على ذلك المصطلحات الآتية : الثورة الصناعية ، الثورة الثقافية والثورة العلمية وما الى ذلك من التغييرات الجارية فى مختلف مجالات الحياة الثقافية ٠

فدلالة الثورة لا تقتصر فقط على التغيير العنيف أو التعديل العميق لنظام الحياة الاجتماعية ولكن تدل أيضا على تغيير أساسى فى العلاقات بين الطبقات العليا المسيطرة بحيث تدمر هذه العلاقة وتحرر الطبقة الدنيا من الاستغلال الاقتصادى فيما يذهب اليه بعض الباحثين الاجتماعيين ٠

واذا نظرنا الى معنى الثورة من الناحية العلمية الاجتماعية الوصفية فاننا نجد لها معنى وصفيا لا يشير الى معنى « القيمة » وهى أنها كل تغيير مفاجىء جذرى عنيف فى نظام الحكم والمجتمع ، وهو معنى الثورة الحقيقى ٠

وهناك من وقف من معنى الثورة موقفا آخر واعتبرها شأنا من الشؤون المعقدة المتناقضة دائما وأنها مليئة بالامور اللامتوقعة كما يذهب الى ذلك FEJTO F. وأنها

(5) المرجع نفسه ، ص 169 ٠

ظاهرة يتفجر فيها كل اللاشعور الشعبى مع كل ما ينطوى عليه من الرجعية والتقدمية كل شيء فيها اختلط فيه الحابل بالنابل الهادىء والعنيف (1) .

وكان معنى الثورة فى القرن 18 الاوروبى مبنيا على معنى المساواة الطبيعية Natural equality بين جميع الناس ، وعلى نظرية « سيادة الشعب » Popular Sovereignty وهي نظرية تتنكر لسلطة التقاليد . وأن المحكومين لهم الحق فى تغيير الحكم بوسائل سلمية واذا الزم الامر فبوسائل العنف (2) .

واعتبر مفكرو القرن 19 ان الثورة الاجتماعية والسياسية الكبرى هي أداة لتقدم الانسانية الحتمى نحو مجتمع تسوده الحرية والمساواة والانسجام الاجتماعى

وهناك مدارس فكرية لها اتجاهاتها فى تفسير معنى الثورة فمنها من يذهب الى تأكيد معنى المساواة باعتبارها غاية للثورة وانها ميزة التقدم ، وأنصار هذه المدرسة على استعداد لان يستعملوا المناهج الدكتاتورية فى سبيلها كما نجد ذلك فى نزعة لينين الدكتاتورية .

ومنها من يذهب الى الديمقراطية الليبرالية التى تنظر الى ثورة الجماهير على انها ثورة تقدمية موجهة الى الطغاة للاطاحة بهم وترمى الى ترسيخ الحرية والحكم الديمقراطى . وهناك من يحاول أن يحقق الحرية والمساواة معا مثل الاشتراكيات الديمقراطية .

ونجد من يقف من الثورة موقفا متشائما محافظا مثل نيتشه ولوبون Le Bon ومن اليهما ممن يرى ان الثورات انفعالات شعبية مهدمة ويذهب بعض علماء النفس الديناميكى المعاصرين الى أن ذلك تعبير عن « نفسية الجماهير » ويقارنون الثورة بالنزعة العدوانية عند الشعوب البدائية . وأنكر سان سيمون وماركس وأوجيست كمبت مبدأ الحق الطبيعى باعتباره غير علمى وذهب ماركس الى القول بالطابع الحتمى للثورة الذى تحمل عليه ضرورات اقتصادية وزعم أن قوى الانتاج فى المجتمع تصل الى مرحلة من مراحل نموها الى الصراع مع علاقات الملكية ومع هيكل النظام الاجماعى والسياسى . وعندما تصبح الاخيرة أي علاقات الملكية قيدا للانتاج تنمو أزمة ويبدأ عهد الثورات الاجتماعية ويؤدى ذلك الى عجز الطبقة الحاكمة ولا ترضى

(1) Hangary and Socialism, University and Left. Revieu, Winter 1958, p. 13

(2) Thomas Jefferson and American Democracy, London, 1948, p. 69.

الطبقة المقهورة المستغلة أن تحيا أكثر تحت الظروف القائمة ويؤدى هذا الصراع بين الطبقات الاقتصادية الى ثورة عنيفة ، وينظر ماركس الى الثورات على أنهـا عوامل ضرورية للتقدم وأنها قطار التاريخ (1) ٠

وعدل هذه النظرية الحتمية الاقتصادية فى الثورة الى حد ما لينين الذى رأى ان الحرب الضروس وقهر المواطنين يمكن أن يكون نقطة انطلاق ثورة وتهديم النظام القديم ، واعتقد أن عهد الامبريالية عهد الحرب العالمية الأولى يلزم بالضرورة أن يزرع سياسة الصراع وأن يرعاها تلك السياسة التى تقوم ضد الاضطهاد ، اضطهاد الاوطان وهي أيضا السياسة المتمثلة فى الصراع بين البروليتاريا والبورجوازية فهو يرى ان الحتمية تكون أولا فى صورة عصيان الحركات الوطنية وفى الحروب وثانيا فى حروب البروليتاريا وعصيانها ضد البورجوازية وثالثا فى الجمع بين هذين النوعين من الصراع ٠ وهو يؤكد أكثر من ماركس ضرورة التنظيم السرى الـذى تسوده الطاعة العمياء ويكون مركزيا لتكوين ثوريين نظريين وذوى مرانـة محترفين للثورات لاعداد جماعة مسلحة ثائرة وقيادة الحركات الثورية ٠

ونجد من جهة أخرى أنصار النظرية الفوضوية مثل Kropot Kin وغيره يرون أن كل الثورات حاولت أن تحقق « العدالة » بالثورة ولكن الواقع اننا نجد طاغيـة يأخذ مكان طاغية آخر فيها ٠

ويذهب سوروكين وعلماء الاجتماع والسياسة فى القرن 20 الى أن الثـورة هي تغيير مفاجىء سريع عنيف يشمل القانون الرسمى للمجتمع أو الدستور ونظام القيم التى يمثلها ووضع نظام آخر ٠ ويفرقون بين الثورة السياسية التى تغير فيهـا الطبقة الحاكمة والحكم وبين الثورة الاقتصادية التى يغير فيها النظام الاقتصادى بعنف كما يميز الثورة الدينية والقومية ويسمى الثورة التى تحاول أن تغير كل النظم الهامة وكل القيم التى ترتبط بها الطبقة الحاكمة بالثورة الكلية : Total Revolution

وقد يأخذ علماء الاجتماع والمؤرخون والصحافيون كلمة « الثورة » بمعناها الواسـع ٠

---

(1) The Class Struggle in France, 1848 - 1850.

ويمكن القول بأن الثورة انما هي قضاء على النظام الاجتماعى والسياسى القائم لا ليحل محله مجرد جماعة أخرى كما يحدث فى الانقلابات ولكن ليحل محله نظام اجتماعى دينى سياسى فلا تصبح الثورة كما قال بعض الباحثين مجرد « طب لامراض الدولة » ولكن مذهب ثورى جديد يغير من ملامح المجتمع تغييرا جذريا فيما يذهب اليه J.S. Erös في دائرة المعارف الفلسفية (1) .

والثورة الجزائرية ثورة تحريرية قام بها مجتمع أغلبه فلاحون فجروا ثورة تعبر عن توقهم الى الحرية وعن ضميرهم الذى تكون عبر التاريخ ، وكانت طاقتهم الحية فى جوهرها شعورا اسلاميا يتمثل فى اصطلاح « الجهاد » وفى كلمة « مجاهدون » مما يعطى لمعنى الكفاح معنى عميقا فى بعده النفسى والاجتماعى وقيمة عليا تعلو على كل شيء آخر على النفس وعلى الولد وعلى المال وكان شعار المعركة الاولى والمعارك التى تلتها عند الهجوم على العدو « الله أكبر » مما يزرع فى نفوس المجاهدين شعورا علويا غريبا لا يشعر به الا من عانى مثل تلك اللحظات الفائقة فى حياة الانسان ، فهذه الطاقة هي العنصر الأساسى فى ثورة الجزائر الذى أمدها بالحياة طوال فترتها بالرغم مما انتابها من صعاب ومشكلات ، وهو الذى غطى ما يمكن أن يقال عن ضعف الاستراتيجية النظرية الفنية وعوضه لحد ما . وهذا يتمثل فى صورته العنيفة القوية فى أهل البوادى والجبال الذين حاول الاستعمار أن يجمعهم فى محتشدات ليقضى على الثورة ولكنه لم يفلح ، بالرغم من حربه النفسية ودراساته المقعددة لعوامل هذه الثورة ومراميها ووسائلها ونفسيات القائمين بها وبث بعض أنصاره في صفوف الثورة ليقضى عليها من الداخل وقد حاول ذلك عدة مرات وكانت خريطة الثورة الجزائرية مظلمة أمام الاستعمار لا يدرى عنها شيئا فى أوائلها الى سنة 1967 حيث حاول أن يصل الى بعض المعلومات التى يمكن أن تتيح اغتيال قادتها ومعرفة مراكزها ، وارسال أجهزة معينة كالمذياع وأجهزة الارسال والاستقبال وكتابة الرسائل الخادعة التى يمكن أن توقع الشكوك فى النفوس والخلاف بين القادة والمجاهدين واضعاف القوه المعنوية التى هي الزاد الاعظم لكل مجاهد ولكل مقاتل فى كل حرب وفى كل ثورة .

ان ثورة أول نوفمبر باعتبارها ثورة بلد مسلم تعتبر تجربة جديدة للتغيير وللتحرير على أساس اسلامى دفع النفوس وكان زادها الوصيد فى ظلال فقر مدقع فقر فكرى

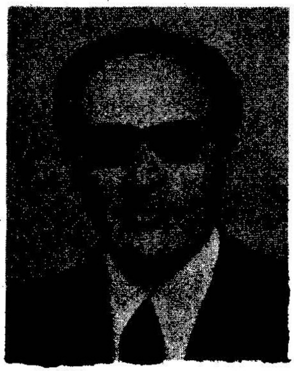
---

(1) « Revolution » in Encyclopedy of philosophy.

وثقافى واقتصادى وتؤكد هذه التجربة فى زماننا القريب هذا الثورة الاسلامية فى ايران التى هدمت عروش الطغيان التى ظن الناس أنها راسخة قدمها بجيشها ومخابراتها وجواسيس الامريكان وغيرهم ولا مكان لاخضاعها ولكن القوة النفسية التى أعطاها الامام لجماهير ايران الاسلامية كانت أقوى من ذلك كله · انها نمط جديد فى عصرنا هذا من الثورات وتجربة تاريخية تستحق الدراسة كما تستحق الثورة الجزائرية الدراسة للكشف عن الحقيقة ، وليظهر القانون الحقيقى الذى يحكم التجارب الثورية ، وان فى مقارنة الثورات وتحليلها لدرسا يفيد رجل السياسة ورجل الاجتماع كما يفيد رجل التاريخ ورجل الفلسفة ·

مـن خصـائص الجيـش الـوطنى
البطـولة ـ العفـة ـ الشهـامة ـ التسـامح

محمد الصالـح الصديق



مضى على اندلاع ثورة التحرير الجزائرية ربع قرن ولم يكتب عنها لحد الآن الا لمحات وشذرات لا تلقى الا بصيصا من ضوء على بعض جوانبها .

واعتقد أن المؤرخين سيعنون بهذه الثورة يوما وينصفونها ، وان جزءا من عنايتهم سيخصص لميزاتها البارزة التى افتكت بها هذه الثورة اعجاب العالم وانتزعت تقديره واحترامه وكانت بها شغل الفكر واللسان والقلم أكثر من سبع سنوات .

وأبرز مميزات الثورة الجزائرية ـ فى نظري ـ هي البطولة، والعفة ، والشهامة والتسامح . وليس مما يتسع له المقام الافاضة فى هذه الخصائص والمميزات لان ذلك يتطلب وقتا واسعا وعناية خاصة ومجلدا ان لم يكن مجلدات .

وانما غايتى فى هذه العجالة التى أساهم بها فى احياء الذكرى الخامسة والعشرين من اندلاع الثورة أن أقدم لمحات خاطفة ولكنها ناطقة بهذه المميزات مع ملاحظة بأن هذه الخصائص والمميزات هي طابع الشعب الجزائرى بمختلف طبقاته الثورية المناضلة ولكنى سأقتصر فى العرض والبحث والتحليل على جيش التحرير الوطنى لكي لا يتشعب الموضوع ويتسع .

بطولة جيش التحرير الوطني :

يتقاضانا واجب الانصاف أمام البطولة الخارقة التى سجلها جيش التحرير الابي الباسل خلال سبع سنوات ونصف سنة من الكفاح المرير أن نتتبع هذا الجيش من يوم أن بدأ زحفه المظفر أول نوفمبر سنة 54 الى أن انتزع حريته واستقلاله سنة 62 ونعيش معه فى كل مكان من التراب الجزائرى الملتهب فى الجبال وفى الصحـــارى ، وفى الاودية وفى السهول فى كل كمين وفى كل معركة وفى كل هجوم ، ونرخى للقلم العنان ليكتب ويلاحظ ويسجل ، ويعلل ويحلل .

ولكن أنى لنا ذلك ؟ وعمر الثورة طويل ... وطويل ... انه بحساب الايام (2693) يوما وكل يوم من هذه الايام التى ظل فيها هذا الجيش البطل يزحف الى النصر ، ويعانق الموت من أجل الحياة ملحمة فريدة يعجز القلم واللسان عن الاحاطة بوصفها ويقف العقل مشدودا مبهوتا ازاء ما تعكس من أحداث ومعالـــم وصور وأبعـــاد ...

وتاريخ كل ملحمة من هذه الملحمات صفحات مجد ، وآيات بطولة ، والحـــان فتوة وأهازيج نصر ... فأي ملحمة من ملاحم هذا الجيش البطل نوثـــر بالاشـــادة والتنويه وبالذكر والتسجيل ؟ هل نتحدث عن تلك الكمائن التى كان ينصبها أبطالنا ضد القوات الفرنسية فى الشهور الاولى من الثورة بالعصي والخناجر وبنادق الصيد أكثرها مشدودة بالاسلاك فيثبتون ويصمدون ويستبسلون أمام الدبابات والرشاشات والقنابل ، ويلحقون بقوات العدو خسائر فادحة نكراء ؟

أم نتحدث عن تلك الهجومات الظافرة التى تزلزل مواقع العدو وقلاعهم وحصونهم وتشتتهم شر تشتيت وتوقعهم فى البلبلة والاضطراب وتنشر فيهم الرعب والفزع وتجعل من يتخلف منهم عن قوافل النار يعيشون بين الموت والحياة ؟

أم نتحدث عن المعارك التاريخية الخالدة التى خاضها جيشنا الباسل بعد أن أصبح جيشا حقيقيا عصريا منظما له مراكزه وعتاده ، وله اطاراته ومصالحه ، وصار يشنف آذان الدنيا بألحان بطولته حتى وقف العدو مندهشا حائرا من ضرباته الماحقة القاصمة لا يدرى مما يرى ويسمع أهو فى اليقظة أم فى المنام ؟

ولكن اذا كان هدفنا مما نقدمه فى هذه العجالة أن نعطى صورة ولو خاطفة عن بطولة جيش التحرير الوطنى فاننا نكتفى بالاشارة الى طائفة من المعارك المشهورة

والهجومات الرهيبة التى برهن فيها الجيش عن بطولة خارقة ستبقى هالة من نور على جبين الجزائر المسلمة ، ولنذكر منها :

هجومات سكيكيدة التى وقعت يوم السبت من شهر أوت سنة 1955 تلك الهجومات الصاعقة التى قام بها الوطنيون وبرهنوا بها على شجاعتهم واعتزامهم على افتكاك حرية الجزائر مهما غلا ثمنها ، وكان لهذه الهجومات أثرها فى انتشار اللهيب المقدس الذى أتى على يابس الاستعمار وأخضره ٠

معركة (قعور الكيفان) بالقرب من (الشريعة) والتى وقعت يوم 15 — 6 — 57 وقد استمرت عنيفة رهيبة من طلوع الفجر الى نهاية النهار ، وحشد العدو فيهـــا جميع أنواع وسائل الدفاع الجنونية من طائرات نفاثة ومدافع رشاشة والمدفعيـــة الثقيلـــة ٠

وبالرغم من عنف القتال وانعدام التكافؤ بين القوتين استطاع جيش التحـــرير البطل أن يصمد ويواجه ٠٠٠ ويقاتل باستبسال خارق سقط من جرائه (200) بين جرحى وقتلى فى جانب العدو ، حسب تقدير القيادة العليا للولاية ٠

معركة (فرنة) التي وقعت يوم 29 — 7 — 57 بنواحى ســوق هراس وشاركت فيها القوات الفرنسية بالطائرات والاسلحة الثقيلة المختلفة وانقلبت المعركة الى اشتباك عنيف ظل طويلا ، وكان جيش التحرير يتقدم الى النار فى شجاعة خارقة لا يبـــالى بالموت لانه يعلم أنه ان كسب المعركة فقد كسب عز الابد ٠٠٠ وقد قتل فى جانب العدو (93) جنديا فرنسيا أما العتاد الحربى فكانت الخسائر فيه كبيرة ضخمة ٠

معركة (جبل العمور) التى وقعت فى صبيحة يوم 2 أكتوبر سنة 1956 شارك فيها (500) جندى من جيشنا الوطنى وكانت قوات الاحتلال تعد بالآلاف وتواصلت المعركة على أشد ما تكون ضراوة وقساوة أسبوعا كاملا أظهر فيها المجاهدون بطولة فذة بالرغم من العتاد الحربى الضخم الذى كان يواجهه برا وجوا وكانت النتيجة قتل (1375) جندى فرنسى واحراق (82) سيارة عسكرية واسقاط عدد من الطائرات وقد ترك هذا النصر الباهر الذى سجله جيش التحرير فى هذه المعركة أثرا عميقا فى النفوس يذكر بملاحم أجدادنا الابطال ٠

أما القوات الفرنسية فقد صارت منذ وقوع هذه المعركة تنظر الى الثورة فى رهبة وخوف وتقرأ للثوار ألف حساب ٠

معركــــة (بوزقـــــزة) الـــتى بــدأت يـــوم 3 أوت سنـــــة 1957 بقيادة جنرالات كثيرين من بينهم الجنرال (أولار) والجنــرال (ماسو) وهذه المعركة جرت فى المنطقة الجبلية الواقعة بين بالسترو (الاخضرية حاليا) وسور الغزلان والمدية والبليدة ٠

وقد خاض جيش التحرير هذه المعركة بشجاعة نادرة واستطاع أن يلحق بالعدو هزائم نكراء فى الارواح والعتاد الحربى بالرغم من القوات الفرنسية الضخمة التى شاركت فى المعركة ، وبالرغم من أسراب الطائرات المقاتلة التى امتلأت بها السـماء ، ورغم اشتعال الارض بنيران القنابل المحرقة وقصف المدفعية الثقيلة ٠

وقد ارتفعت خسائر العدو الى (420) قتيلا وزهاء (500) جريح ، واسقطت طائرات وحجزت كمية من الاسلحة ومما يلاحظ فى هذه المعركة أن فرقتين من جنود العدو وقعتا فى الفوضى والاضطراب عندما جن الليل وأخذتا تتقاتلان اذ تظن كل واحدة انها تجاه جيش التحرير الوطنى ٠

وقد حقق جيشنا فى هذه المعركة نصرا عظيما وأثبت للعدو قدرته على المواجهة الحربية وانه سيد الموقف فى كل وقت ٠

معركة (عنابة) التى وقعت صبيحة يوم الاربعاء 24 جوان 59 وتظهر خـطورة هذه المعركة والروح النضالية الفذة التى يتمتع بها المجاهد الجزائرى فى أن عدد جيش التحرير كان لا يتجاوز (60) جنديا كلفوا بمهمة من طرف القيادة ولكن العدو اكتشفهم قبل أن يصلوا الى هدفهم وكانوا قادمين من تونس ٠

وعندما كانوا على بعد (30) كلم من عنابة أخذت القوات العسكرية الفرنسية تضرب حولهم حصارا محكما ، واستقدموا عدة فرق من القواعد العسكرية فتجاوز عدد الجنود الفرنسيين (20000) جندى يعززهم عتاد حربى متنوع من طيران ، ومدفعية ثقيلة ، ومصفحات ٠

وكان المجاهدون يحملون سلاحا عصريا يمكنهم من مواجهة العدو بالرغم من عدم وجود أي تكافؤ ـ وأية مقارنة بين الجانبين ٠

واستمرت المعركة فى ضراوة وشدة صمد فيها أبطالنا للموت وأظهروا تفوقا ، مدهشا فى ميدان الحرب ومقدرة خارقة على المواجهة وأساليب الحرب الحديثة ٠

ولما لم يطق الجيش الفرنسى مواجهة الموقف الرهيب بل صار الكثير من الجنود يرفضون القتال ويحاولون الفرار ويلقون بأسلحتهم الى الارض حتى أن أربعة منهم

قتلوا لارغامهم على التقدم الى الامام ـ وتأكدت القيادة الفرنسية من فشل جنودها وانتصار جيش التحرير ـ استعملت الغازات الخانقة ، وبذلك استشهد جل المجاهدين ·

وقد بلغت خسائر العدو فى هذه المعركة نحوا من (840) بين قتيل وجريح وكان من بين من شاهدوا المعركة من ميناء عنابة ضابط بحرية ، بريطانى ، ولما شاهد عنف المعركة وضراوتها وكثرة الجنود الفرنسيين والاستعدادات الضخمة التى شاركت فيها سأل شخصا بجانبه :

كم عدد الثوار الذين تحاربونهم الآن ؟

فأجاب الآخر بأنه يقال ان عددهم حوالى السبعين ·

فابتسم الضابط البريطانى ابتسامة سخرية وقال :

في استطاعة الحلف الاطلسى أن يعتمد على الجيش الفرنسى ضد الاحتلال السوفياتى ··· وقد تناقلت هذه المعركة وكالات الانباء العالمية واطلع عليها العالم أجمع فى دهشة واعجاب ولم تستطع حتى القيادة الفرنسية أن تخفى نبأ هذه المعركة أو تحط من أهميتها كما تعودت أن تفعل لانها دارت فى ضواحى عنابة لا فى غابة أو فى منطقة جبلية ·

معركة (غابة مزرانة) فى المنطقة الرابعة من الولاية الثالثة ، أحد حصون جيش التحرير الوطنى وعرين من عرائنه المهيبة وتشرف هذه الغابة على مدن تقزرت ودلس وعلى ماكودة وسيدى نعمان ، وسيدى داود وبغلية وقد دارت فى هذه الغابة معارك طاحنة فى مختلف سنوات الثورة ···

ولعل أقساها وأشدها وأوسعها تلك التى وقعت فى شهر أكتوبر سنة 1957 والتى انقلبت فيها غابة مزرانة سعيرا يتأجج ، وبركانا يتفجر بالحمام والقذائف ·

وقد ضرب المجاهدون فى هذه المعركة أروع الامثال فى البطولة وصمدوا صمود الرواسى وشعارهم (اما النصر الذى تعقبه العزة لله والحرية للوطن والكرامة للامة ، واما الشهادة التى يعقبها البقاء فى الدنيا بالذكر والخلود فى الجنة بالمروح) ·

وقد جندلوا من جنود العدو عددا كبيرا لم يعلم عددهم وسقط فى ميدان الشرف جمع من أبطال أول نوفمبر 1954 ·

معركة (ميمونة) التى شاركت فيها قوات هائلة فرنسية تعززها قاذفات القنابل والطائرات العمودية والمدفعية والدبابات ، ورغم اشتعال الارض بنيران القنابل المحرقة وقصف المدفعية الثقيلة ورغم اختناق الجو بالرائحة الكريهة المنبعثة من القنابل المكروبية السامة التى لم يتورع أعداء الانسانية عن القائها على جيش التحرير الوطنى - فقد استطاع أبطالنا أن يتفادوا ضربات العدو وأن ينزلوا به أفدح الخسائر وقد قتل أكثر من (150) جنديا فرنسيا واستمرت المعركة من طلوع الشمس الى الساعة التاسعة ليلا حيث لم يعد يسمع (غير الصراخ والاصوات الشاكية تنبعث من صفوف الاعداء تائهة مختنقة) .

عملية (جيمال) التى شرعت فى تطبيقها القيادة العسكرية الفرنسية بتاريخ 22 جويلية سنة 1959 والتى تمثل فى نظر الفرنسيين المرحلة الحاسمة من مراحل برنامج شال الذى كان يهدف الى القضاء على الثورة ، وتعد أكبر عملية منذ بداية الثورة ، واجمعت الصحف الفرنسية اذ ذاك انها أضخم وأكبر وأوسع عملية منذ بداية الثورة وقد حشدت فرنسا لهذه العملية أكبر قوة عسكرية برية وبحرية وجوية ، (واعترفت القيادة الفرنسية انها جلبت لهذه العملية (35000) جندى من مراكز خارجة عن نطاق عملية (جيمال) ويضاف هذا العدد الى (40000) جندى هم الموجودون فى المراكز العسكرية القارة داخل مساحة العملية

واستمرت العملية أشهرا وقف أبطالنا خلالها مواقف تثير النخوة والاعجاب والاعتزاز وانتهت العملية بالفشل الماحق الذريع وانهيار معنويات الفرنسيين وخاصة الاطارات منهم لانهم كانوا قد علقوا آمالا كبيرة على هذه العملية ثم تبينوا أنهم واهمون حالمون، وان جيشا من هؤلاء الابطال الذين لا يعرفون الاحجام لا يمكن أن يهزم .

معركة (جبل مزى) التى دارت رحاها بين خمس كتائب من جيش التحرير الوطنى وقوات فرنسية يرتفع عددها الى (3000) جندى ، واشتدت ضراوتها أيام 6 ، 7 ، 8) ماي سنة 1960 بمشاركة أكثر من ثمانين طائرة وأسلحة ثقيلة مختلفة ... وأظهر جيش التحرير خلال هذه المعركة - كعادته - ضروبا رائعة من الثبات والصمود والبطولة اذهلت العدو وجعلته يعمد الى استعمال قنابل (النابالم) المحرقة لينتقم لخسائره الفادحة الضخمة التى قدرت بنحو (300) بين قتيل وجريح .

هجوم عين (الزانة) الذى قام به جيش التحرير الوطنى ضد مركز (عين الزانة) بالشمال القسنطينى فى شهر جويلية سنة 1959 م وهو أهم مركز فى الجهة

الشرقية حيث يشرف على مسافة شاسعة تمتد من سهول عنابة الى الحدود التونسية الجزائرية ، ويتكون من أربع مباني أساسية : مبنى الكومندوس حيث يقيم معظم الجنود الفرنسيين ـ مبنى ضباط الشؤون الاهلية (الساس) ـ مبنى القيادة الفرنسية ·

وقد استطاع جيش التحرير البطل أن يحتل هذا المركز ويستحوذ على وثائق هامة ، وينزل العلم الفرنسى ويرفع مكانه العلم الجزائرى ، ويلحق بالقوات الفرنسية أفدح الخسائر فى الارواح والعتاد وقد ساعد على هذا النصر الباهر تنظيم قيادة جيش التحرير لهجومات منظمة منسقة فى نفس الوقت على جميع المراكز القريبة مثل (بوسردوك ـ وبوحجار ـ وعين كرمة ـ والساقية ـ ولاكور ـ وغيران) ·

هذه بعض المعارك الضارية التى خاضها جيش التحرير الوطنى ضد القوات الفرنسية عرضناها تذكيرا ببطولته النادرة التى حقق بها نصرا باهرا، والتى ستبقى على مر الدهور تؤكد تلك الحقيقة العسكرية التى تقول (بأن قيمة السلاح تقدر بقيمة الجندى الذى يحمله) ·

أما سر هذه القوة التى صنعت المعجزات ، وجعلت من القلة كثرة ، ومن الضعف قوة ، ومن الجهل والامية علما ومعرفة ، فسرها يعرفه المجاهدون وحدهم وسيظل كامنا فى رسوخ العقيدة وقوة الايمان ، وصدق الوطنية وايثار الفدائية على الانانية ·

عفة جيش التحرير الوطنى :

ان سنوات الاحتلال البغيض المظلم الذى عاشه شعبنا وقاسى فيه ألوانا من الظلم وضروبا من الشقاء طهرته وجعلته شعبا يمتاز بأخلاق كريمة وسلوك قويم وظلت هذه الاخلاق كامنة تنتظر الفرصة وتتحين المناسبة حتى دقت الساعة واندلعت ثورة نوفمبر الخالدة سنة 1954 وعندئذ ارتفع الستار عن تلك القيم والفضائل فانكشفت على حقيقتها قوية ناصعة فانبهر العالم واندهش وصارت مثار الاشادة والتندر فى كل مكان ·

وجيش التحرير الوطنى هو المرآة التى تعكس تلك القيم والاخلاق ، والصورة الصادقة التى تنطق بأصالة الشعب الجزائرى وتاريخه وأمجاده · وقد كان فى الاشهر الاولى من ثورته لا يملك الا التوجيهات العامة ولما عقد مؤتمر الصمام فى 20 أوت 1956 سنت قوانين ، وحددت معالم ، يقف عندها كل مجاهد وكان من تلك القوانين تحريم الاعدام ذبحا ، والتمثيل بالشخص أو تشويه خلقته ، وتحريم الاعتداء بكل الوانه وأنواعه ونص القانون (على أن كل من يعتدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالاعدام) ·

فكانت هذه القوانين الصارمة تتجاوب كل التجاوب مع ما يشعر به المجاهد فى أعماقه من أحاسيس وما يؤمن به من سلوك ، وما طبع عليه من أخلاق ٠

وليس وكدنا فى هذا المقام أن نستعرض صورا تتجلى فيهـــا أخلاقية المجاهـد الجزائرى لان ذلك يتقاضانا ـ أيضا ـ دراسة خاصة ويكلفنا على الاقل مجلدا ضخما ولكن يكفى أن نورد حادثة واحدة ترينا اخلاقية المجاهد فى جيش التحرير ، وعفته وسفالة الجيش الفرنسى وتهوره ونذالته ٠

ان الثورة التى كان يقودها جيش التحرير الوطنى ثورة منظمة هادفة بكـــل ما تحمله هذه الكلمات من معانى وأبعاد ، أما الحرب التى يقودها الجيش الفرنسى فهي حرب وحشية ضد الشعب الجزائرى تستهدف الابادة الجماعية ، والمســـخ والتشويه والانتقام، يدفعه فى كل ذلك تكالب ٠٠٠ وعنصرية ٠٠٠ ووحشية (ورغبة ملحة فى دوس القيم والفضائل) ٠

ولعل الصورة التالية تكشف عن ذلك وان كانت الالفاظ والتعابير مهما كانت لا تصف الحقيقة على ما هي عليه وانما لها مدلولها الذى يعين القارىء الكريم على تصور الحقيقة :

نصبت كتيبة من جيش التحرير الوطنى كمينا لقافلة عسكرية فرنسية للتموين فى مكان يدعى (القلاب) بالقرب من مدينة باتنة فى شهر أوت سنة 1959 واستمر القتال بين الجانبين عنيفا قاسيا قرابة نصف ساعة قتل خلاله أغلب الجنود الفرنسيين وتمزقت جثث بعضهم واختلطت بسيارات حطمتها مدفعية جيش التحرير ٠

الى هنا فالامر عاد ليس فيه ما يستلفت النظر أو يثير الاهتمام لان المعـــارك والكمائن والاشتباكات تتكرر كل يوم فى مختلف أنحاء القطر الجزائرى والمجاهدون يسجلون كل يوم انتصارا على العدو ٠٠٠

ولكن الامر الذى راع المجاهدين وأثار عجبهم الى حد الدهشة هو انهم لم يكادوا يأخذون فى جميع الاسلحة التى رميت فى الارض وفوق جثث الجنود ـ وقد انسحب من الميدان من اخطأهم الموت ـ حتى رأوا أربع فتيات فرنسيات يخرجن بين الصخور فوق الطريق وهن يرتعدن روعا وفزعا :

وقف المجاهدون فى حيرة من أمرهن وعجبوا أن يسلمن من الرصاص الـــذى كان يمطر كل منطقة الكمين قرابة نصف ساعة ٠

انه الاجل ٠٠٠ الذى ما يزال فيه بقية ٠٠٠

تقدمت اثنتان وقد أصابهما عي واضطراب من هول الموقف ، وتمشت صفرة فاقعة فى وجهيهما ، فوقفتا أمام جمع من المجاهدين كأنهما تريدان أن تقولا شيئا ولكن اللفظ احتبش عليهما فصارتا تنظران اليهم فى وجوم غريب ...

واستطاعت احداهما أن تجمع قواها وتقول فى لهجة حزينة متهافتة :

(لا تقتلونا ... نحن نسوة) ...

فتقدم المجاهدون ونزعوا منهن السلاح الذى كن يحملنه ... ثم التفت اليهن أحدهم وقال :

(لا عليكن ... نحن ثرنا لنحارب الرجال لا النساء ...)

ثم تأهب المجاهدون للانسحاب وانطلقوا ومعهم الفتيات الاربع حتى وصلوا الى جبل (مستوى) جنوب (باتنة) حيث توجد تحصينات جيش التحرير المنيعة وهناك أفردوا مكانا خاصا للفتيات الفرنسيات حيث قدموا اليهن طعاما وفرشا ، وأحاطوهن بسياج منيع من الامن وعشن مع المجاهدين مدة فى طمأنينة وسلام حتى انهن دهشن من المعاملة الانسانية المثالية التى يعاملن بها من قبل جيش التحرير ، وصرحن للصحافيين بعد اطلاق سراحهن انهن وجدن ما لم يخطر على بالهن يوما من الرجولة والشهامة والعفة والكرم .

وفى الوقت الذى كانت الفتيات الفرنسيات يتلقين من المجاهدين كل احترام ، ويعاملن معاملة انسانية مثالية كان الجنود الفرنسيون يرتكبون أفظع الجرائم الخلقية مع النساء الجزائريات فى بيوتهن فى نفس الناحية ، فى منطقة (خنشلة) وفى ناحية (سلانيس) .

ففى ناحية (بابار) قرب (قرية سلانيس) توجهت قوات كبيرة من الجنود الفرنسيين الى القرية المذكورة ، فقتلوا مدنيا ومجاهدا مريضا كان يعالج هناك ثم أخذوا معهم فتاتين - احداهما أخت المجاهد الجريح - وامرأتين،وسيق اربعتهن الى المركز الفرنسى ، وبعد محاولات الاستنطاق فعلوا بالمرأتين ما لا يتصور، من ذلك اعتداء ستين جنديا على شرفهما .

وهكذا يتجلى الفرق بين جيش التحرير الوطنى الذى يقال عنه اذ ذاك انه مجموعات من الارهابيين والوحشيين والخارجين عن القانون ... وبين الجنود الفرنسيين الذين تخرجوا من معاهد وكليات ، وجاءوا للجزائر ليقضوا على الارهابية والوحشية وليقيموا دائم التمدين والتحضير .

ان انتهاك الجنود الفرنسيين للحرمات فصل طويل لا نهاية له ، وصفحة شنيعة سوداء تفوق كل وصف ، ولا نستطيع أن نكتب الا سطورا قليلة لكثرتها ، وللشعور بالانقباض والاشمئزاز من الحديث عنها وحسبك ـ قارىء الكريم ـ أن تعرف انه لم تسلم قرية ولا ناحية من هذه الفواحش والموبقات التى تندى منها الانسانية ٠

ان الجندى الفرنسى قد تخصص فى الاجرام الخلقى منذ حرب الهند (الصينى) ومارس الرذيلة حتى أصبحت طبعه الخلقى الذى يعسر عليه الانفلات منه ٠٠٠ والفظائع الوحشية ، والموبيقات الخلقية التى كان يرتكبها فى الجزائر خارجة عن نطاق الاعمال العسكرية البحتة وداخلة فى نطاق الجرائم الفردية التى تعاقب عليها كل القوانين فى العالم أجمع ٠٠٠ ومع ذلك فهي فى نظر القادة والضباط الفرنسيين قانونية يشجع عليها مرتكبها ٠٠٠ وكم من ضابط ترقى لانجاز عمليات اجرامية تفوق كل تصوير

ان الجندى الفرنسى ينفلت من زمام العقل الذى يتحكم فى العاطفة ، ويدعو الى التفكير فى عواقب الامور فتراه يهبط الى حيوانية الجنس ، ويتحول الى نزوة بهيمية مسعورة مكلوبة ، وعندئذ لا يقيم وزنا أي وزن للقيم ولا أي حساب للاعتبارات المختلفة التى تخطر ببال العاقل المفكر ، فيصبح ذئبا مفترسا (لا يكاد ينتهى من الاعتداء على شرف حتى يبحث عن شرف آخر يلوثه ويدنسه فى بهيمي وحشى) وقد يعمد الى طريقة لا أحط منها ولا أدل على فقدان الآدمية منها ٠٠٠

أما المجاهد فى جيش التحرير فانه يلقى القبض على فتيات فرنسيات ، وهو رجل يتمتع بكل ما يتمتع به الجندى الفرنسى من القوة البدنية والنفسية ، فيعيش معهن أشهرا ، ويتمكن منهن كما شاء ، ويشعر بالاحساس الجنسى نحوهن ولكنه لا يقترف ولو أدنى سوء بل قد لا يحضر بباله اقدام على ما لا يتفق والاخلاق العامة ٠٠ ذلك لانه يغلب نفسه ويسيطر على نوازعه ، البهيمية ، ويتحكم فى عاطفته ، ويفكر فى عواقب الامور ، ويقرأ الف حساب لسمعة الثورة التى هي سمعته وتاريخها الذى هو تاريخه ٠

وهنا تظهر قيمة المجاهد ٠٠٠ وتتجلى عظمته وقوته ٠٠٠ وانها تتجلى أكثر وأكثر فى (عفته) فالاحساس الجنسى ـ كما يذكر العلماء ـ أعنف الاحاسيس التى تتملك الانسان ، وتتصرف فيه بعد احساسه بذاته ٠٠٠ وهو القوة المسيطرة على كيانه ، الموجهة له من حيث يشعر أو لا يشعر ٠٠٠ واطمئنان المرء على ذاته من

الوحوش الضارية ، والآفات الجائعة ، والمفاجآت القاتلة أسهل من اطمئنانه على ذاته من (هذه القوة) ٠

وجيش التحرير الوطنى قد ضرب أروع الامثال فى تحكمه ، وفى سيطرته على عاطفته ، وفى قدرته على الانفلات من هذا الوحش الضارى ٠

وقد تواترت وقائع تاريخية عجيبة ما يزال المجاهدون يذكرونها كأحلام نائم تشهد للمجاهد الجزائرى بقوة شخصيته ، وكمال عقله ، وقوة ايمانه ، وحسن سلوكه ، وقدرته على الاعتدال والاتزان ٠

وكم نام مجاهد مع امرأة فى فراش واحد وتحت غطاء واحد (لظروف حربية خاصة) دون أن يشعر نحوها بما يريب وقد أكد لى ضابط فى جيش التحرير - وهو الآن على قيد الحياة - انه عاش مع امرأة أكثر من شهر وكثيرا ما نام معها فى مكان واحد (وهي على أجمل خلقة) دون أن يشعر نحوها الا بما يشعر به نحو أخته من عطف وحنان ٠٠٠

ان المجاهد الجزائرى يستجيب بطبيعة نشأته وتربيته ودينه لنداء الضمير ٠٠٠ ومن ثم فهو لا يطيع دوافع الشهوة ، ولا يرضخ لسلطان الهوى ، ولا ينساق مع غريزته الحيوانية الى غايتها بل يضبط نفسه ويعلن لها رايه الصارم فتخمد وتنطفىء حتى يجد المتاع الشرعى فتنبعث وتعود الى مقرها وتجرى فى مجراها الطبيعى ٠

ان المعركة بين المثل الانسانية الرفيعة ، والغرائز الحيوانية الوضعية معركة قاسية صعبة لا ينتصر فيها الا من عظمت نفسه ، وتهذب طبعه ، واستقام سلوكه ٠

ولعل الغريب فى الامر ان الشعب الذى يسمى متأخرا وجاهلا ومتعصبا هو الذى كان يناضل من أجل المثل العليا وتحقيق نصرها فى هذه المعركة ، وان الشعب الذى يسمى متمدنا ومتعلما وراقيا هو الذى يحارب لتحطيم تلك المثل ودوسها) ٠

تلك هي (عفة) جيش التحرير الوطنى نسجلها للحقيقة والتاريخ وليعرفها من لا يعرفها وهي (بطولة) أخرى تضاف الى (البطولات) الكثيرة التى امتلأت بها صفحات التاريخ المشرقة الزاهية التى يتباهى بها التاريخ البشرى ٠

شهامة جيش التحرير الوطنى :

جيش التحرير الوطنى ثورى منظم ٠٠٠ يؤمن بالله ويدين بالاسلام ، دين العدل والرحمة والتسامح ، ويدفعه الى الكفاح هدف نبيل هو الحرية والاستقلال ومن ثم

فالمجاهد الجزائرى لا يتسفل الى الدنايا ، ولا يحيد عن الجادة ، ولا يخضع للعوامل العاطفية الفردية الشخصية ٠

وكم صحافى أجنبى عاش مع جيش التحرير مدة فبهرته أخلاقه وفضائله ، وأدهشه احترامه لقوانين الحرب ، بكل دقة ، وكتب عن ذلك مشيدا ومثنيا ، وقد اعترف لاكوست نفسه بأن (ما يواجهه فى الجزائر ليس تمردا قبليا أو تهويشا عشائريا ، وانما هي ثورة حقيقية بالمعنى العصرى لمفهوم الثورة) ٠

وتأخذ هذه الكلمة مكانتها فى الاعتبار عندما نعلم ان قائلها (لاكوست) من أعداء الثورة البارزين الذين بذلوا قصارى جهودهم من أجل القضاء عليها ٠

فاذا كان الجيش الفرنسى الذى كان يحارب فى الجزائر جيشا مترصدا عنصريا سفاحا همه سفك الدماء ، وهتك الاعراض ، ودوس الكرامات ، ونشر الرعب والفزع ، بلا شفقة ورحمة ، لانه لا يخضع الا لنوازعه النفسية ، ونزواته البهيمية ، فان جيش التحرير جيش نظامى واع ، يخضع للرأي والتدبير والخطة ، ويستجيب لنداء الشعور الانسانى والضمير اليقظ الذى زوده به دينه وتربيته ، وهمه الذى يشغل عليه مشاعره وأحاسيسه أن يزيل الحواجز والموانع التى حالت بينه وبين حريته وسيادته وسعادته ٠

وتأتى رجولة جيش التحرير وشهامته فى طليعة المزايا الشخصية الكثيرة التى رفعت ثورة التحرير الجزائرية الى أعلى مكانة فى تاريخ الثورات التحريرية فاكتسبت بذلك عطف العالم وتقديره وتأييده ٠

واذا كانت الرجولة والشهامة من الصفات التى عرف بها جيش التحرير الوطنى ـ ولا ندعى العصمة ـ والتى تغنى بها كثير من الشعراء المعجبين بثورة الجزائر ، فانها تتجلى أكثر وتأخذ طابع الصرامة والتحدى فى بعض الاحيان وذلك عندما تنتهك حرمة ، أو تداس كرامة ، أو ينهش عرض ، فعندئذ تغلى الدماء ، وتصرخ فى العروق أصوات الاربعة عشر قرنا من تاريخ العقيدة والايمان والبطولة والمجد التليد فتنطلق الكتائب للثار والانتقام وتقتحم الموت ولا تبالى، وتروى الارض بالدم الوضيع وبجثث الجراد القذر ٠٠٠ الذى لم يكتف بسلب الحرية فسلب الشرف ، ولم يكتف بالقتل والقمع والتشريد والنهب والتجويع ، فتدفق فى الفجور ، وتوغل فى الفساد ، فراح يقتل الفضيلة ، ويلوث الشرف ، ويمارس من الفواحش والموبقات ما يعد من الخرافة وهو صدق ٠

وعادة جيش التحرير الوطنى البطل منذ اندلاع ثورته التحريرية انه ينصب الكمائن ويشن المعارك وينظم الهجومات على المراكز والمعاقل العسكرية الفرنسية ويبرهن فى كل ذلك عن بطولته ورجولته ، ويواجه ، العدو بثبات نادر ، ويعمل جهده على أن يجنب المدنيين العزل ـ من الجاذبين ـ آفات الحرب وشرها ، أما الجيش الفرنسى فانه كان على العكس من ذلك ... انه يحارب الضعاف ويظهر شجاعته فى القرى الآمنة العزلاء أمام النساء والشيوخ والاطفال ، فيرتكب الفواحش ويمارس جرائم الاخلاق فى نذالة ولؤم وسفالة ، فيثور جيش التحرير ويثار للفضيلة والشرف ، وينتقم للضعاف .

ان من العمليات التى لم تفتأ تمارس منذ اندلاع ثورة التحرير فى مختلف أنحاء القطر الجزائرى أن تهاجم القوات العسكرية الفرنسية معززة بالطائرات والدبابات والمدفعية الثقيلة قرية وتحاصرها من كل جهة ثم تقتل جماعة من الرجال بعد أن تجرب فيهم فنونا مختلفة من الاهانة والتعذيب ثم تتفرغ للنساء والاطفال فينتزع الجند الفرنسى عن الصبايا والابكار ثيابهن ويخرجونهن من بيوتهن عاريات ثم يرتكبون الاهانات الفاحشة على مرأى ومسمع من ذويهن ، وأحيانا يجبرونهن على الرقص ، وكثيرا ما يقتلون أولئك النساء ويمثلون بهن أفضع تمثيل ثم يرمى بجثثهن فى خندق أو كهف ثم يهدم عليها بالمتفجرات كما وقع ذلك ـ مثلا ـ فى شهر ماي سنة 1957 بدوار الدكان جنوب مدينة تبسة .

وكلما وقعت جريمة فظيعة عبث فيها الكلاب النجسة بالانسانية البريئة ، هذا العبث المخجل الذى ترتفع عنه حتى الوحوش الضارية ـ هاج جيش التحرير وهب هبة الاسد الهصور فانقض على الجنود الاوغاد يلقنهم درسا فى الشهامة والبطولة والرجولة ، وعلمهم كيف يكون الانتقام للشرف عندما يهان ، وكيف يكون الموت عندما تتسع جرائم الجيش الفرنسى ، وتتفجر غرائزه البهيمية ، ويتحول الى قطيع من الوحوش ، عندما ينهزم فى معركة أو كمين ، فعندئذ ينتقم لخسائره بارتكاب أفظع ما يمكن من الجرائم والفواحش والموبقات ، وقد صور الشاعر العربى هذا الطبع الدنىء ، وهذا الوضع المخزى الذى عرف به الجيش الفرنسى فقال :

احترق أيها الحقود المعنى — وانفجر فى (الدروب) كيدا وطعنا
وتعلل لدى هزائمك النكراء — بصيد الضعاف والعزل منا
قد عرفنا الاقدام منك على الاطفال — والعاجزين ذلا وجبنا
ورأيناك فى الجبال وفى الميدان — عبدا لمن يلاقيك قنا
فادخر هذه المخازى تمثالا — من العار فى بلادك قنا

وتهز الفتوة الاسلامية ، والشهامة العربية والنخوة والرجولة جيش التحرير الوطنى حينما تهان المرأة الجزائرية وتستذل كرامتها وعزتها ، فتستنجد به فيهيب فى ضراوة الاسود فينجدها ويرفع رأسها عاليا ، ويسجل أروع موقف بطولى فى التاريخ المعاصر ، واليك صورة من الصور الكثيرة فى هذا الموضوع :

(أسفرت معركة ضارية دارت رحاها بين رجال التحرير وكتيبة عسكرية فرنسية ـ عن قتلى وجرحى كثيرين فى صفوف العدو ثم تفرق المجاهدون تحت جنح الليل فقصد ستة منهم قرية فى سفح الجبل ونزلوا ببيت أحد الفدائيين، وفى الصباح الباكر بينما كانوا يستعدون للخروج فوجئوا بحصار محكم خانق حول القرية فاختبأوا فى خندق أعد لذلك خصيصا ولم تكد تشرق الشمس حتى أخذت القوات العسكرية تزحف على القرية الآمنة ، للانتقام لقتلاهم وجرحاهم كعادتهم وأخذت تفتش القرى منزلا منزلا وفردا فردا ، وتحطم الاثاث وتنهب الاموال وتعتدى على الحرمات ، وتهين الرجال وتقتل المشبوهين ، ولم ينفك الحصار عن القرى وتنسحب القوات العسكرية حتى بعد الزوال ٠

وما ان استيقن أحد الفدائيين من انسحاب القوات العسكريه حتى حضر الى المجاهدين الستة ليكشف لهم عن فظائع جيش الاحتلال فى هذا اليوم المحموم وكان مما أنبأهم به أن امرأة فى قرية مجاورة بينما كان ضابط فرنسى يحاول الاعتداء على كرامتها اذ صرخت بأعلى صوتها تستغيث بجيش التحرير الوطنى وهي لا تعلم ان بالقرية مجاهدين ولكن معرفتها ببطولتهم وسماعها بالمواقف المشرفة التى يقفها جيش التحرير فى مثل هذه الظروف جعلها تتصورهم على مقربة منها وانهم ينجدونها اذا استغاثت بهم ٠ ولم يكد المجاهدون يسمعون هذا النبأ حتى غلا الدم فى أجسادهم وهزتهم النخوة القومية والعزة الاسلامية ٠٠٠ وهبوا هبة الاسود وأقسموا يمين الاحرار ليثأرن لهذه المرأة بما يرفع رأسها ورأس المرأة الجزائرية عاليا ، فانطلقوا ـ وهم ستة ـ وأرواحهم على أكتافهم ، وقلوبهم تتنزى فى صدورهم ، الى أقرب ثكنة عسكرية ٠

وهناك ثاروا للمرأة المسلمة وبرهنوا بالفعل على أن الحياة لا قيمة لها اذا ديست الكرامة وأهين الشرف ٠٠٠ وسجلوا فى تاريخ الجزائر عنوانا من عناوين العلا ، اسمه (الشهامة) ٠

فقد اقتحموا ـ كالقذائف الموجهة ـ باب الثكنة واندفعوا الى ساحتها وهم يطلقون الرصاص يمينا ويسارا فى ضراوة مذهلة وقتلوا منهم عددا كبيرا ثم سقطوا جميعا شهداء الكرامة والعزة والشهامة ٠

تسامح جيش التحرير الوطني :

الاسلام دين التسامح والعفو والصفح عند المقدرة ، والذى يتسامح فى حقه ويعفو ويصفح عن السيىء يعد عظيم النفس ، نبيل الخلق ، رحب الصدر ، عالى الهمة ، وليس من السهل أن تعفو عمن أساء اليك ، وتتسامح معه الا أن تكون قوي العزيمة ، عظيم الصبر ، فحينما استشهد حمزة بن عبد المطلب مثل به المشركون وأراد المسلمون أن يمثلوا بمن قتل من المشركين فمنعهم الرسول ، ولما آمن قاتل حمزة وهو وحشى الحبشى لم ينتقم منه النبى بل عفا عنه وقد مثلت هند بجسد حمزة (وأخرجت كبده ولشدة حقدها حاولت أن تأكلها ثم جاءت الى النبى (صلعم) متنكرة واعتنقت الاسلام ثم اظهرت وجهها فعرفها الرسول وصفح عنها ولم يعاقبها على ما فعلت بعمه حمزة ٠

وعندما سير أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيش المسلمين الى (ابنى) بقيادة أسامة بن زيد زوده بهذه الوصية :

(يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، لا تمثلوا ، ولا تقتلوا ، طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيرا الا للطعام ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له سوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها) ٠

هذه أخلاق الاسلام وبها استطاع أن ينتشر فى مختلف أنحاء العالم ، ولما عرفت هذه الاخلاق عن المسلمين كانت هي التى تغزو القلوب والبلدان قبل الجيوش ، حتى (أن الجيش لما بلغ وادى الاردن) وعسكر أبو عبيدة فى (فحل) كتب الاهالى المسيحيون فى هذه البلاد الى العرب يقولون :

(يا معشر المسلمين : أنتم أحب الينا من الروم وان كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، واكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا) ٠

(وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل وأبلغوا المسلمين ان ولايتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الروم وتعسفهم (I) ٠

(I) الدعوة الى الاسلام تأليف (ارنولد) ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين ٠

وعلى هذا المنهاج القويم سار جيش التحرير الوطنى ، وبهذه المبادئ والاخلاق كان يعامل الاعداء وشهد الاجانب والفرنسيون أنفسهم بأن جيش التحرير جيش النظام والتسامح والرحمة وكان يعامل الاسرى الذين يقعون فى قبضته بالشهامة والرجولة والحسنى ٠

ومن الذى ينسى تلك الرسالة الخالدة التى كتبتها القيادة العليا لجيش التحرير الى القيادة العسكرية الفرنسية وارسلتها مع أسير فرنسى أطلق سراحه بمناسبة شهر رمضان المعظم سنة 1956 تلك الرسالة التى تمثل عقيدة هذا الجيش وايمانه ، وتمسكه بمبادىء الاسلام ، واحترامه للقوانين الدولية فى الحروب ، وترفعه عن الدنايا لانه يبغضها ويحتقرها ، ويبغض ويحتقر كل من يتسفل اليها ٠

وقد جاء فى تلك الرسالة بالخصوص :

« ليكن فى علمكم اننا مسلمون واننا نؤمن بالله لا اله غيره وبأن الاسلام هو الذى علمنا مبادىء الرحمة والسخاء ٠٠٠ واننا نبعث اليكم مع الاسير الذى أطلقنا سبيله هذه الرسالة وفيها نطلب منكم ـ أيها الجنود ـ أن تحترموا التعاليم الاخلاقية التى يعمل بها الجنود فى أنحاء العالم كله ٠٠٠)

ولا أدل على انسانية جيش التحرير وتسامحه ومعاملته الحسنى للاسرى الفرنسيين من شهادات هؤلاء أنفسهم ، فكل من يطلق سراحه منهم يشيد بجيش التحرير ويعود الى أهله بذكريات وعواطف تملك عليه مشاعره وأحاسيسه وتجعله يعيش مدينا لفضل هذا الجيش الانسانى العظيم ٠

وما أكثر شهادات الاسرى فى هذا الموضوع ولو جمعت لكونت كتابا يجمع بين الافادة والامتاع وحسبنا أن نورد ـ على سبيل المثال ـ طائفة منها :

فى يوم 9 سبتمبر 1959 أطلق جيش التحرير الوطنى سراح (جان شوفالى) أحد أعوان الحرس الفرنسى الجمهورى وسراح خطيبته الآنسة (كيرييل) وقد صرحت الآنسة للصحافيين عن معاملة جيش التحرير قائلة : (لم يعاملونا معاملة سيئة فى أي وقت من الاوقات بل انهم لم يحاولوا أبدا أن يفصلونى عن خطيبى وهو ما كنت أخشى أن يفعلوه وعندما نكون متنقلين فى الجبال يقدم لنا الثوار مأكلنا كسرة وعسلا أما عندما نستقر فى مراكز الجيش فيقدمون لنا مأكلا أحسن وأشهى وأكثر تنوعا) ٠

أطلق سراح جمع من الاسرى الفرنسيين فى شهر أبريل سنة 1959 فصرحوا للصحافيين بأنهم كانوا يعاملون من قبل جيش التحرير معاملة انسانية لم تكن تخطر

على بال أحدهم وكان لهذه التصريحات صداها البعيد فى أوساط الصليب الاحمر الدولى الذى نشر اذ ذاك بلاغا عبر فيه عن ارتياحه لمواقف جيش التحرير الوطنى ٠

وأطلق سراح جماعة من يوم 18 ماي 1959 فصرحوا بما يثير النخوة والاعجاب ويظل هالة من النور على جبين الجزائر ومما قاله بعضهم : (٠٠٠ وقبل ذهابنا قال لنا سكرتير الولاية الثالثة : اننا لا نطلقكم من أجل الدعاية فى الخارج ولكنا نرجع اليكم حريتكم بدافع انسانى) ٠

ذلك هو الجيش الوطنى فى بطولته وعفته وشهامته وتسامحه ٠٠٠

وذلك هو الجيش الفرنسى فى جبنه ولؤمه وسفالته وقساوته ٠٠٠

فقد انتصر الاول وحق له أن ينتصر ، وانهزم الثانى وطبيعى أن ينهزم ٠٠٠

وبعد فاننا نعيش هذه الايام ذكرى ثورتنا الخالدة التى قدم فيها جيش التحرير الوطنى أمثالا رائعة ببطولته النادرة ، وأخلاقه الكريمة ، وتمسكه بدينه الاسلامى القويم ، وسلوكه الذى كان مثار الاعجاب والتقدير ، لا بالنسبة الى قادته وشعبه فحسب ، ولكن أيضا بالنسبة الى العالم أجمع بما فيه أعداؤه الذين كانوا يواجهونه على جبهة القتال ٠

واذا كان الاحتفال بالذكريات يهدف أولا وبالذات الى العظة والاعتبار للتزود بالوقود لمواصلة السير على الدرب الصاعد ، ومضاعفة الجهد من أجل حياة أفضل ، فاننا فى هذه الذكرى الخالدة (ذكرى مضى ربع قرن على اندلاع الثورة التحريرية) انما عرضنا طائفة من أخلاق هذا الجيش البطل للعظة والاعتبار ، والا فليس ما ذكرناه الا كلمات قيلت ، وقصص رويت ٠٠

والعبرة التى نستخلصها مما ذكرناه هي ان جيش التحرير الوطنى لم ينتصر على الحلف الاطلسى الا بمزايا وخصائص كان يتمتع بها ولم يكن عدوه يملكها وهذه حقيقة لا يشك فيها الا من يشك فى البديهيات الاولية ٠

فببطولته حطم الجيش الفرنسى :

وبسلوكه المثالى حتى مع عدوه اكتسب اعجاب العام وعطفه وتأييده ومؤازرته ٠٠

فلنحافظ نحن على هذه المزايا والخصائص ولنتسلح بها ، ولنعش بها وعليها ومن أجلها ٠ واذا كان جيش التحرير عفيفا شهما متسامحا وهو فى جبهة القتال ومع

عدوه الغاشم الغادر الذى لا يعرف الرحمة ··· فكيف ونحن نعيش أسرة واحدة فى ظل الحرية والسيادة والاستقلال ؟؟

مراجـــع البحـــث :

كتب للمؤلف (الجزائر بين الماضى والحاضر) (مذكرات مجاهد) (من قلب اللهيـــب) .

المجاهد والمقاومة .

العقيد (أعزورن محمد) .

نـــوفمبـــر
والمجـاهـدون بالكلمـــة

الدكتور عبد الرزاق قسوم
أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر

ربما كانت أكثر المعانى التصاقا بالثورة ، هى التى تتعلق بمدلول الجهاد • بل انه ليمكن القول أن الثورة والجهاد وجهان لعملة واحدة • فاذا كانت الثورة مدلولا لغويا ، يعنى التغيير ، والتحول ، بدءا بالفرد ، ووصولا الى المجتمع فالدولة ، فالامة ، فان الجهـــاد فى مدلولـه الاسلامى ، صفة موازية للثورة ، تنطلق فى أساسها من المعاناة اليومية للفرد ، فى بذل الجهد الديمومى ، لتحسين واقع الانسان ، كى يسهم بدوره فى تحسين الواقـع الاجتماعى •

فى ضوء هذا التحديد ، نستطيع القول بأن الثورة فى مفهومها اللغوى، تتسع لتشمل كل أنواع التحولات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، التى تتصل بحياة المجتمع

الانسانى، فى أى رقعة من العالم، أما الجهاد وهو مصطلح اسلامى ، فهو يلتقى مع الثورة، فى جانب كبير من أهدافها فى العناية بتغيير الواقع الانسانى ، الا أنه ـ أى الجهاد ـ يبدو فى مدلوله أكثر شمولا وعمقا ، لانه يتناول الانسان أفقيا وعموديا .

من هذا المدلول تولدت معانى الجهاد الاصغر، والجهاد الاكبر ، وفى كلا المدلولين نجد الجهاد يبدأ بالاعداد النفسى ، والتوعية ، وتحسين السلوك والاخلاق ، ليمتد الى الحد من سلطان الظلم ، وشيوع الانانية السياسية ، ومقاومة كل ألوان الاعتداء ، والاضطهاد، والوثنية، والشرك فى حياة الامة .

كان لابد اذن من هذه المقدمة، كتمهيد لمعالجة موضوعنا وهو العلاقة العضوية ، والجدلية بين ثورة نوفمبر الرائدة ، وصنف من المناضلين فى صفوفها ، وهم المجاهدون بالكلمة .

المثقف ... والثورة

الحقيقة أن ارتباط الثورة الجزائرية بالمثقفين ، هو كارتباط الروح بالجسد. فقد كان المثقفون هم الطاقة الحية، التى تجلت فى بزوغ فجر الثورة .

فالى المثقفين ، يرجع الفضل فى توعية الانسان الجزائرى ، بشخصيته ، وبتاريخه ، وقوميته ، وناهيك من شعار رفعه المثقفون فى وجه الاحتلال الفرنسى ، وهذا الشعار هو « العروبة والاسلام » واحقاقا للحق نقول ان هذا الشعار هو الذى به قاومنا ، وهو الذى به تحررنا ...

وبالتفاتة عابرة الى تصريحات أقطاب الاستعمار الفرنسى، فى مواجهة الثورة الجزائرية ، يمكن ايجاد المقارنة بين شعار « العروبة والاسلام » الذى رفعه الشعب الجزائرى المجاهد ، وبين ردود الفعل العنيفة، التى كانت من المستعمرين لاسقاط هذا الشعار ، والعمل على ابطاله .

فليس من قبيل الصدفة؟ أن يخرج جورج بيدو وزير خارجية فرنسا أيام اندلاع الثورة فى المغرب العربى، عن وقاره ، وديبلوماسيته، ليفصح فى انفعال، وعصبية عن حقده ويقول : « لن نترك الهلال يتغلب على الصليب » .

وليس بمحض الصدفة أيضا أن يصرح « قى مولى » رغم « اشتراكيته » و « انسانيه مبادىء حزبه » بأن الحرب فى الجزائر ، هى حرب صليبية بين المسيحيين والمسلمين ، متخذا كدليل على ذلك تسمية الثوار الجزائريين لانفسهم بالمجاهدين ، وهتافهم أثناء الاستشهاد بشعار « الله أكبر » ٠

لقد كانت ردود الفعل هذه كلها تعبر عن انفعال وحقد دفين ، فى مواجهة مبادىء المثقفين الجزائريين، الذين كانوا يعدون للثورة الجزائرية ، ويهيئون نفسية المواطن الجزائرى ، لارساء دعائم الثورة، التى تقود حتما الى استعادة معالم الدولة الجزائرية المطموسة ٠٠٠ فهذا زعيم الثورة الروحية فى الجزائر عبد الحميد بن باديس ، يرسم كيان الوطن الجزائرى ، الذى حاول الاستعمار طمسه ، فصاح فى وجه فرنسا قائلا : « اننا نحن فتشنا فى صحف التاريخ ، وفتشنا فى الحالة الحاضرة ، فوجدنا الامة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة ٠ كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الامة تاريخها الحافل بجلائل الاعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها ، وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، ثم أن هذه الامة المسلمة الجزائرية ليست فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ولو أرادت ذلك ، بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها ، فى أخلاقها ، في عنصرها ، وفى دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين ، هو الوطن الجزائرى فى حدوده الحالية المعروفة » ٠

هذه الروح الثورية الوقادة التى كان يتحلى بها ابن باديس، وثورته هى التى ألهبت الحماس الثورى الوطنى ، فأعدته خير اعداد لخوض غمار المعركة التحريرية ، وبهذه الروح أيضا، اعتنق المثقفون الجزائريون مبادىء الثورة، ومشوا فى صفوفها أبطالا فدائيين فى موكب التضحية والاستشهاد ٠

ولقد شهد بذلك العديد من المثقفين، الذين قدموا أرواحهم فداء لتحيا الجزائر، من أمثال : عمارة رشيد ، وعبد الرحمن طالب ، ومحمد شهرة ، وأحمد بوزقاق ، وعلى بومنجل وغيرهم كثير ٠

ومما يشهد للمثقفين الجزائريين أنهم لم يكونوا أبطالا فى التوجيه والقيادة السياسية فحسب ، بل كانوا فى موكب الفداء ، وفرق الكوموندوس ، وهذه شهادة بذلك :

« سعدت يوما بحضور اجتماع احدى فرق هؤلاء الابطال (يعنى أبطال الكومندوس) قبل تسللهم الى مدينة عنابة ... لم يستغرق الاجتماع سوى دقائق شرح خلالها القائد الخطوط العامة للمهام التى سيقومون بها ... نسف مركز الحاكم الفرنسى للمدينة ، واغتيال أكبر عدد ممكن من جنود وحلفاء ، وأذناب الاعداء من رجال الكولون ، والذى لاحظته أن أغلب هؤلاء الفدائيين من الطلاب الجزائريين » (1) .

ومما يؤكد هذه الحقيقة أيضا نداء التعبئة الذى وجهه الشاعر الجزائرى صالح خباشة للمثقف ، مهيبا به الى الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطنى ، حيث يخاطبه بقولـــه :

خض فى الجزائـر ثـورة حمـراء	ودع المـدارس والكتـاب وراء
ثـر غاضبا فى وجـه من سلب البـلا	د حقـوقهـا وأضامهـا وأسـاء
لتكـن مدارسـك الجبـال فدرسهـا	أجـدى وأرسـخ فى الحياة بقـاء
ليس البـلاغة أن تشقشق هـادرا	كـلا ولا أن تحسـن الالقـاء
ما الطب فى الوقت العصيب سوى علا	ج الشعـب ممـا ضره وأسـاء
ما الصيدلـة بعـد هـذا بيـع	أقـراص تـدر دراهمـا وغنـاء
لكنهـا بيـع الرصـاص فانـه	يشـفى الصـدور ، ويحسم الادواء

* * *

الجهـاد بالكلمـة

اذا كان الشاعر هو سجل تاريخ شعبه ، فان شعراء الجزائر ، هم خير من يؤرخون للثورة الجزائرية ، فى جميع مراحلها .

ومنذ الارهاصة الاولى للثورة ، وحتى عندما كانت مخاضا كان الشاعر الجزائـرى يعد لها ويبشر بها .

---

(1) سعد زغلول فؤاد ، **عشت مع ثوار الجزائر** ، بيروت ، دار العلم للملايين 1960 ص 198 .

فهذا محمد العيد يتنبأ بطول فجر الثورة من الاوراس ، فيبعث بتنبآته بشائر خير للشعب الجزائرى ، فى قصيده الخالد الذى يستهله بقوله :

بباتنــة رعــد البشائـر لعلعـا   فأطـرب أوراسا بهـا والشلعلعا

وصدق تنبؤ محمد العيد ، حين اندلع لهيب الثورة المباركة من جبال الاوراس ، ايذانا بنهاية ليل الاستعمار ، الحالك السواد ٠

وتأبى موهبة الشاعر الكبير : محمد العيد الا أن توحى لى بمناجاة له من داخل أسوار السجن مع طائر جزائرى يعرف « بأبى بشير » يقول محمد العيد على لسان الطائر الذى جاء يحمل اليه بشرى استقلال الجزائر القريب :

سيحمد شعبك العقبى قريبا   ويحرز نصره بيد القدير
ويشهد بعث دولته فيرضى   ويحظى بالهلالى المنير
ويحكم حكمه الشورى حرا   وخير الحكم ، حكم المستشير

تلك اذن حتمية التاريخ،فى انتصار الثورة الجزائرية رغم الحرب اللامتكافئة مادبا بين القوتين وان حاول محمد العيد صياغة هذه الحقيقة،فى قالب أسطورى على شكل مناجاة بين أسير وبين أبى بشير ٠٠٠ أما الجديد فى هذا الحوار فهو الدعوة ـ من خلال ذلك ـ الى ارساء دعائم الدولة الجزائرية ، على أساس المبدأ الاسلامى العادل مبدأ الشورى ، الذى يحدد احدى صيغ الحكم الديمقراطى للدولة الاسلامية ٠

وعلى غرار محمد العيد،سار شعراء آخرون فى الاعداد النفسى ، والثقافى ، والاجتماعى ، للثورة الجزائرية ، فهذا الاستاذ أحمد سحنون يصعد من أعماقه زفرات تعبر عن مدى انشغاله بعملية فك الخلاص ، وتحرير الحمى ٠٠٠ يقول الشاعر أحمد سحنون في قصيده الرائع بعنوان « لا تطل لومى » :

لا تطل لومى ، ولا تطلب نشيدى   أنا في شغل بتحطيم قيودى
أأغنى ويدى مغلولة   وبرجلى قيود من حديد
أأغنى ولسانى موثق   وبطوق خانق طوق جيدى
أيغنى من غدا موطنه   بين أنياب ذئاب وأسود

أيغـــنى مـــــن غـــــدت أمتـــــه بعـــد عـــز الملـك فى ذل العبيـد
لا أغـــنى قبـــل أن أجـــــنى المـ ـــنى وأرى الاسـلام خفـاق البنـود
لا أغـــنى قبـــل تحريـر الحمى فـــاذا حـــرر غنيـــت نشيـــدى

انها دعوة بالكلمة الصريحة الى الجهاد ، يبعث بها الشاعر الكبير أحمد سحنون الى رفاقه ، فى الالتزام بالكلمة ، مهيبا بهم الى العناية أولا بتحرير الحمى ، وتخليص الوطن من أنياب الذئاب .

هذه الحقيقة، حقيقة اتخاذ المدفع الى جانب القلم ، والرصاصة الى جنب الكلمـة ، وسيلة للثورة ، هى التى نجدها تتردد عند شعراء جزائريين آخرين مثل : أبى بكـر مصطفى بن رحمون الذى يعلن أنه ورفاقه من المجاهدين بالكلمة ، قد يئسوا من الاكتفاء بالقلم وحده سلاحا للمعركة ، فاتجهوا الى المدفع والرشاش، يعززون بهما كفاح القلم والكلمة ، يقولون ابن رحمون :

شكونـا الظلـم بالاقـلام دهـــرا فلـم نظفـر مـن الشكوى بـزاد
ولـم نر للتظلـم مـن جـوانـب سـوى اغراقهـم فى الاضطهـاد
فلـما لـم نجـد للرفـق بـابـا لجـأنـا للكفـاح وللجهـاد

هذه النماذج من الادب الجزائرى المعاصر ، تؤكد مدى تفاعل المثقفين مع الثـورة المظفرة ، ومدى مساهمتهم ، فى الاعداد لها ، والتعبئة لصفوفها ، والسير فى قوافـل ومواكب فدائييها وشهدائها .

على أن من جنود الكلمة أيضا، بالاضافة الى أصناف المثقفين الذين ذكرنا . صنفا آخر من الجنود، لعبوا دورا حاسما فى الثورة الجزائرية ، فى الريف والمدينة ، وعانوا السجن ، والنفى ، والتعذيب ، والتنكيل ، أولئك هم المعلمون الاحرار حماة الضاد فى الوطن الجزائرى ، وناصرو قيمه ، وأصالته ، وتراثه .

لقد وفاهم القايد الروحى الكبير : محمد البشير الابراهيمى حقهم حين وصفهم فى احدى خطبه ، بأنهم جنود العلم ، فقال مخاطبا اياهم : » أنتم جنود العلم ، ولكلمـة « جندى » معنى يبعث الروعة ، ويوحى بالاحترام ، ويجلب الشرف ، ويغـلى القيمـة ،

لانه في غاية معناه ، حارس مجد ، وحافظ أمانة ، وقيم أمة ؛ لذلك كان من واجبات الجندى ، الصبر على المكاره ، واللزبات ، والثبات في الشدائد ، والازمات ، والسمع والطاعة فيما يغمض على الاذهان فهمه من العلل ، ويعسر على العقول هضمه من الحكم . فاذا استرسل الجندى في الجزع والشكوى ، أو خانه الصبر ، فلاذ بالضجر ، أخطأ النصر ، وضاع الثغر ، وانما انتم حراس دروب ، ومرابطو ثغور ، فاصبروا واثبتوا » (1) .

لقد كان المعلمون رمزا للجهاد بالكلمة الشريفة ، الملتزمة في جزائر الثورة ، ولولاهم لكانت الجزائر مثل جزائر الواقواق الخالية .

جنود الكلمة اليوم

ان من يتأمل واقع الكلمة العربية اليوم ، بالمقارنة الى المحتوى العميق الذى كانت تختزنه، نفس هذه الكلمة ابان الثورة، لتفزعه حقيقة رهيبة ، وهى أن مجاهدى الكلمة الذين حملوا بالامس لواء المعركة ، في اباء ، واصرار ، وايمان ، قد استراحوا اليوم من واجبات الجندية ، وأصبحوا وكأنهم طلقاء من كل التزام، الا من العمل اليومى الذى يضمن يسار الحياة بأسهل الطرق وأبسط الوسائل .

لم يعد للكلمة اذن وزنها، الذى كان يوازى ثقل الرصاصة وأكثر . وانما أفرغت من محتواها فلم تعد متضمنة لمعنى الوطنية ، والقيمة الخلقية ، والشعور بثقل الامانة القومية ، الملقاة على عاتق الجندى حاملها . ويكفى للتدليل على صحة القول أن نسوق على سبيل المثال ـ ونحن نعيش الذكرى الخامسة والعشرين للثورة الجزائرية ـ عينة من واقع المدرسة الجزائرية ، في ظل الاستقلال والحرية .

ان المدرسة العربية في عهد الثورة، وما قبل الثورة ، كانت تتميز بخصائص عديدة، لعل أبرزها في نظرنا :

أولا : الارتباط الوثيق بين التعليم والتربية مما جعل المعلم واعيا بأنه مثال لتعليم الاطفال وتربيتهم خلقيا ، ونموذج في الاستقامة والامانة للكبار .

---

(1) محمد البشير الابراهيمى « عيون البصائر » ج 2 ، ص 297 .

ثانيا : اصطباغ التعليم بالشعور الوطني، ممثلا بالنشيد الذى يتغنى بالوطن وحبه ، والعزم على صيانته ، والدفاع عنه بالنفس والنفيس .

ثالثا : الهيام برمز الوطن الذى هو العلم ، واحلاله من القلب محل السويداء ، مع ما يتطلب ذلك من تغن بقيمته ، والعمل على اعلائه ، مهما كانت الظروف ، وأيا كانت التضحيات .

كانت هذه اذن هى خصائص المدرسة الجزائرية ، ابان الثورة وقبلها ، فأين مدرستنا اليوم مما كانت عليه بالامس القريب ؟

لقد تحلل « المجاهدون بالكلمة » اليوم من كل التزام خلقى ، فانفصل التعليم عن الاخلاق،فى تصور الكثير من المعلمين ، وهو ما يشكل احدى المخاطر ، التى تتهدد عملية تربية الجيل فى مجتمعنا .

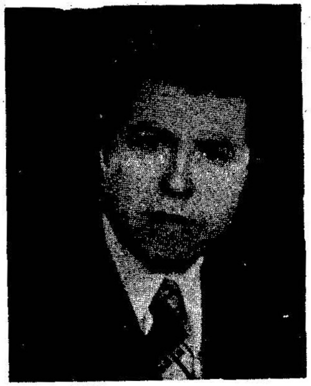
كذلك اختفت ظاهرة النشيد الوطنى من التعليم ، فى مدارسنا ومعاهدنا ، على اختلاف مستوياتها ، بل اننى لأراهن على أن القليل النادر من طلاب مدارسنا وثانوياتنا هو الذى يحفظ النشيد الوطنى . فهل هذا هو الوفاء لثورة نوفمبر من جانب أحفادها ؟ وهل هذا هو معنى مواصلة الثورة والجهاد،من جانب حملة مشعل المجاهدين بالكلمة فى جزائرنا المستقلة ؟

ان أبسط واجباتنا نحو شهداء الكلمة فى الجزائر، هو أن لا نحل فقط النشيد الوطنى ، والتربية الاسلامية المكانة اللائقة بهما ، وانما وأن ندخل تقليدا عريقا الى مدارسنا وهو تحية العلم ، ورفعه صباح ، مساء كمحاولة لربط جيلنا برمزه الوطنى ، وغرس حب الوطن ، وعلمه فى نفوس ناشئتنا ، ففى ذلك بعض الوفاء،لمن ضحوا بأعلى ما يملكون فى سبيل تحرير الجزائر . وفى ذلك تخليد لمبادىء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فجاهدوا فى سبيل تحقيق النصر العظيم، بالكلمة الشريفة الملتزمة الخالدة .

اننا لو فعلنا هذا، نكون قد قمنا بأقل واجباتنا، نحو قوافل الشهداء،الذين نضع اليوم أكاليل النصر على أضرحتهم ، ولعل ذلك أضعف الايمان .

من ابعــاد الذكــرى الخامسة والعشرين
لثـــورة نوفمبــر

د٠ عباس مدنى
أستاذ علـوم التربية
بجامعـــة الجزائـــر



ان ثورة نوفمبر من كبريـات قضايا العصـر ٠ ما تزال أمانة كبرى فى عنق التاريخ ما لم تأخذ حظها من الدراسة الموضوعية المنهجية العلمية ٠ وهي أمانة فى عنق الاجيال الجزائرية والعربية والاسلاميـــة كرسالة حق ومبادىء عدل وحرية ٠

ما أكثر أولئك الذين كتبوا عن ثورة نفمبر أو عن بعض جوانبها وأحداثها ٠ لكنهم لم يوفقوا لاسبـــاب كثيرة ، منها وأهمها افتقار هذه الدراسات الى المنهجية التى ترفعها الى مستوى علم التاريخ الحديث ان دراسة حدث كبير كهذا لاشك يحتاج صاحبها الى المنهج الشامل الذى يساعد على وضع القضية الكبرى كمحور لاحـداث الثورة وقرينة تاريخية تضمن للباحث والقارىء معا التوصل الى التفسير الدقيق لمختلف العلاقات والاحكام وان الدراسة التى لم تنطلق من سلسلة وحدة التاريخ لا تستطيع ان تحقق شيئا مما ذكرنا من أغراض العلم ٠ فدراسة ايف كوريار Yves Courrière كنموذج لهذه الدراسات التى جاءت خارج نطاق وحدة التاريخ كعملية تفريغ للثورة من محتواها وما تضمنه هذا المحتوى من مبادىء وقيم ومفاهيم ٠

ان الذى يقرأ كتاب les fils de la Toussain أبناء التوسا يجد ثورة نفمبر لا تزيد عن مجموعة من الاحداث كردود فعل لسياسة فرنسا فى الجزائر ذلك الوقت • انها أشبه شيء بقصة مأساة انتهت بطلاق • وسعى بعض الكتاب الفرنسيين كسلسلة الكتب التى نشرتها مجلة هسطوريا فى أعداد خاصة بحرب الجزائر أن يعطوا لاحداث الثورة مدلولات مادية سياسية استعمارية ليموهوا على الناس ويضللوا الرأي العام عبر الاجيال • ولقد أشار الى هذا التمويه عبد الحميد مهرى فى مقال كتبه فى «الاصالة» العدد 22 • وحتى أولئك الذين تصدوا للكتابة كمدافعين عن الثورة قد وقعوا فى نفس الاخطاء • ومن هؤلاء أذكر على سبيل المثال فرانس فانون ، وهانرى علاق • ان تحليلهما وتفسيرهما الماديين جعلا من الثورة مجرد ردود فعل لسياسة القمع والقهر والحرمان ، وزعما ان الثورة الجزائرية خالية من المضمون الايديولوجى • انه لا سبيل الى مجابهة الفراغ الايديولوجى الا الاختيار بين الاديولوجيتين العالميتين الماركسية أو اللبيرالية ، مع ان هذه الايديولوجيات قد ثبتت خيبتها فى المجتمعات التى نشأت فيها • وكأن الايديولوجيات — يرى هؤلاء — من صنع الفكر الغربى وحده • نسيا ان الثورة كتغيير جذرى للاوضاع السائدة لن تتحقق الا اذا كانت محتوية على مجموعة من المبادى والقيم والمفاهيم التى تتضمن الحل الامثل •

فالثورة كحل جذرى للمشاكل قد تنشأ عن فشل المحاولات الجزئية لحل المشاكل الفرعية • لانه لا يتأتى اصلاح الجزء الا بصلاح الكل • واذا كان فشل المحاولات السطحية أمرا محتوما فان هذا الفشل من جهة أخرى سينمى القناعة بضرورة الحل الجذرى ، وهكذا يبدأ العمل الثورى فى نهاية فشل الحلول الجزئية ذات المفاهيم السطحية • حينئذ يبدو الحل الثورى كالطريق الوعر الوحيد • وعندئذ تشخص الثورة روح الامة وارادتها فى شكل متجانس للمبادىء والقيم والمفاهيم والمواقف • ومن تم فلكل ثورة كتب لها أدنى حظ من النجاح محتواها الذى تستمد منه شرعيتها وأصالتها وأبعادها التاريخية •

واذا كان لابد للثورة من محتوى يتكون من عصارة تاريخ الامة ومعاركها القاسية الحاسمة التى خاضتها فى ماضيها السحيق ، فان المحتوى الثورى — كما يعتقد علماء التاريخ المقارن — لن يكون الا محتوا تاريخيا • ومن ثم يسلم علماء التاريخ المقارن بضرورة مراعاة الفروق بين مختلف الثورات واختلاف محتوياتها • لان الفروق بين الامم حقيقة لا يكاد يختلف فيها اثنان • انه لا وجود لثورة بدون أمة ، ولا أمة بدون

مبادىء وقيم ومفاهيم ﴿ وهذه الابعاد التاريخية تمثل أصول الامة ومصدر قوتها ومنطلق آمالها • ومن ثم فان تفسير الحوادث التاريخية خارج نطاق وحدة التاريخ لا يسلم من الزيف والخطا • وان ايديولوجية الثورة لن تكون الا من قيم الامة ومبادئها والمفاهيم الناتجة عنها • فهي لا تكون الا من صنع الامة ذاتها •

لقد حاول هؤلاء أن يفصلوا الثورة عن ماضيها ويفرغوها من قيمهـــا ومبادئها ، وان يزيفوا مضامنها • فاذا كان عذر هؤلاء جهلهم بالاصول ، فان تجرؤهم عن كتابة تاريخ الثورة أو معالجتهم لقضيتها جناية لا تغتفر • ان جهلهم أو تجاهلهم لاسس الثورة يترتب عليه بالضرورة بطلان أحكامهم وعدم صحة تفسيرهم ، اذ الحكم على الشيء فرع تصوره • فاغفال المصادر الاساسية للثورة ، والجذور البعيدة للقضية الجزائرية تزييف للحقيقة التاريخية فما يترتب عليه من الاحكام التفسيرية تكون باطلة • فتزييف مبادىء العمل الثورى لبطلان لشرعيتـــه • اذا كـــان لا يمكن لعاقـــل فصل الثورة الفرنسية عن النهضة الفكرية التى تمتد جذورها الى الاتجاه الانسانى الذى من أصحابه بيترارك ، وارازموس ، وكوندورسيه ، والاتجاه الطبيعى ومـــن أقطابه روسو وجون لوك ، فانه لا يمكن لعاقل أيضا أن يفصل ثورة نفمبر عن الحضارة الاسلامية ونهضتها الفكرية • انه لا يتصور أن تكون الثورة الروسية على ما هي عليه دون وجود محاولة هيجل وفيورباخ وماركس • كما لا يتصور أيضا حدوث ثورة أول نفمبر من غير محاولات تقى الدين ابن تيمية ومحمد بن عبد الله بن تومرت والحركة السلفية الاصلاحية التى قام بها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبد الحميـــد ابن باديس • فاذا كان ليس من العلم ولا من الحكمة أن تفصل الثورة الفرنسيـــة والروسية عن أصولها ومبادئها ومفاهيمها ، فكيف يكون من العلم والحكمة فصـــل الثورة الجزائرية عن أسسها • فالمبادىء والقيم والمفاهيم الجزائرية هي التى غذت بل شكلت أهم عوامل النزاع الذى أدى الى الثورة •

ليس من المنطق أن يتوقع حدوث ثورة دون وجود تصور بين مختلفين أو أكثـــر للقضية الرئيسية التى تمثل بؤرة النزاع • فالقضية الجزائرية كانت موضوع نزاع بين المستعمر والمستعمر • وتشكل جذور هذا النزاع غزوا استعماريا ونكرانا للوجود الجزائرى • كان الفرنسيو يعتقدون أن المسألة الجزائرية ليســت الا قضيـــة أناس متوحشين ووطن شاغر ، على فرنسا كحاملة للواء المدنية ان تخضعهما لارادتهـــا وسلطانها • فالاهلى Indigène فى رأي المستعمر كائن لا ماضى له ولا مستقبل ،

يعيش ليومه ، لا حق له فى الكيان الجماعى الا فى الاطار الفرنسى ، لا يجوز لـــه أي نشاط سياسى الا فى المحيط السياسى الاستعمارى الفرنسى · أما المجتمع الاصلى فانه مجتمع محكوم عليه بالتخلف ، فلا حق له فى النمو ، ولا سبيل له فى النهوض · فالروح الاستعمارية التى لم يبق لها مجال فى المجتمع الفرنسى بعد الثورة الفرنسية وجدت فى الجزائر ملجأ منيعا ومرتعا فسيحا وميدانا خصبا · لقد كان ما هو ممقوت فى الوطن الام مستحبا فى الجزائر · فالديمقراطية التى تمقت السياسة التعسفية الاستبدادية فى فرنسا لا ترى مبررا لمنعها فى الجزائر ولم تسع حتى للتخفيف من جورها وظلمها وحيفها · وديمقراطية التعليم كمبدأ تكافؤ الفرص فى المجتمع الفرنسى تغض الطرف عن سياسة التجهيل ونشر الامية فى الجزائر · وسياسة التنمية والتطـــور التكنولوجى التى نشطت بعد الحربين العالميتين كانت على حساب المجتمع الجزائرى لتفقيره والعمل على تخلفه ·

لقد كانت سياسة الحد من النمو الديمغرافى بالقتل والتشريد والهجرة واستبدال الاهالى الجزائريين بالايطاليين والاسبان ، لا تختلف فى شىء عن سياسة الامريكان مع الهنود الحمر ·

يقول أنطول فرانس : « ان فرنسا طيلة 65 سنة نهبت العرب وسلبتهم وشردتهم لتعمر القطر الجزائرى بالايطاليين والاسبان » ·

لقد كانت فترة آخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فـــترة تقلص ديمغرافى ملحوظ واستيطان أروبى سافر · كانت سياسة « الجزائر الفرنسية » صورة واضحة للتطرف الذى وصل اليه المكر الاستعمارى · منذ ذلك الحين فالقضيـــة الجزائرية لم تبق مجرد قضية احتلال بالقوة بل تعدت الى نكران وجود أمة وفصـــل شعب عن تاريخه وحضارته ·

ان هذه السياسة كانت تعنى بالدرجة الاولى تزييف التاريخ وتشويه الشخصية الجزائرية · فالاسلام والعروبة فى رأي هذه السياسة ليس الا رواسب بدائيـــة وعادات وتقاليد بائدة ، لا يمكن بحال أن يترك لهما المجال كي يكونا نظام حياة واطار حضارة · ولقد سد الاستعمار كل طرق للنهضة أمام الاجيال الجزائرية ، ولم يترك لهم أي طريق سبيل غير الاندماج والذوبان فى حضارته والتبعية المحتومة ·

أما التصور الوطنى للقضية فكان ينطلق من مبدا اعتبار الجزائر غير فرنسية ، والاعتراف بالسيادة الجزائرية واعتبار الشعب الجزائرى شعبا له تاريخه وشخصيته

وحضارته . على ان من الجزائريين من كان يظن ان المطالبة بحق الامة سبيل لنيله . فأصحاب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كانوا يرون الاستقلال هو المطلب الرئيسى الذى لا غنا عنه ولا بديل له . وجماعة حزب البيان والحرية كانوا يعتقدون ان المطالبة بالحقوق ابتداء من أبسطها قد تؤدى فى النهاية الى الاستقلال . وأما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيعتقدون ان المشكلة بعد سياسة « الجزائر فرنسية » لم تبق مجرد مشكلة سياسية بل تعدت ذلك الى الآفاق الثقافية والاجتماعية . ومن ثم فان الاصلاح الاجتماعى الجذرى ابتداء من اصلاح الدين والتربية هو المنهج الاسلم للاعداد للمستقبل ، ووضع حد لمأساة الجزائر . فالاحزاب السياسية القومية والحركات الاسلامية ان اختلفت فقد كان اختلافها غالبا فى الفروع وليس فى الاصول ، وفى طرق العمل التى بها يتم الوصول الى الغايات المنشودة .

ومهما يكن من أمر فان هذا الخلاف اذا دل على خيبة النخبة السياسية التى لم تسلم من التأثر بسياسة المراوغة الاستعمارية قد خدم القضية باثراء مفهومها وتعميق محتواها وبلورة مبادئها حتى أصبح الحل الجذرى هو الحل الاوحد . والجهاد فى سبيل الله هو المنهج الاقوم لفرض ارادة الامة وتحقيق استقلالها وضمان مستقبل أجيالها .

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « أدن من الموت تهب لك الحياة »

ان التضاد الحاد بين التصورين الاستعمارى والوطنى للقضية الجزائرية ان انتهى الى الحرب المحققة للحرية والاستقلال فانه لم يحقق التخلص التام من كل أشكال التبعية والتخلف . اذا أعاد الى الجزائر سيادتها فانه لم يحقق لها أصالتها ومكانتها اللائقة بين الشعوب المتقدمة . لذلك ان انتهى الحرب فان الثورة لم تنته . بل ما تزال قضية كبرى فى ذمة التاريخ ورسالة عظمى تحتاج الى أجيال العقيدة السمحة والمبادىء السامية والقيم النبيلة من بناة الحضارة وصانعى المجد رافعى لواء التاريخ .

وشهــد شاهــد من أهلهــا :

الثــورة الجــزائرية فى مذكــرات الجنــرال دوغــول

محمد الهادي الحسني
مسؤول فى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع



كما تتعرض الشعوب للقهــر والاستغــلال يتعرض تاريخها للمسخ والتشويه · وما من شك فى أن نصيب الشعب الجزائرى من قهر الاستعمار واستغلاله قد فاق كل تصور ، كما أن ما لحق بتاريخ الشعب الجزائرى من المسخ والتشويه لا يعادله أي مسخ أو تشويه لتاريــخ أي شعب آخر · وان هذا المسخ والتشويه لا يقتصــر على مرحلة معينة من تاريخنا ، بل يمتد ويواكب هذا التاريخ منذ فجره ليصل الى المرحلة المعاصرة منــه ، أي الى جهادنا التحريرى · من ذلك مثلا ، أن هناك من ينكر أن شعبنا انتزع استقلاله عنوة ، واسترجع حريته غلابا ، فظهرت كتابات تدعي أن هذا الاستقلال انما هــو « منة » و « تكرم » من الجنرال دوغول ·

ان أصل هذا الادعاء هو الجنرال دوغول نفسه · فبعد أن فشل ميدانيا فى القضاء على الثورة أو تحجيمها على الاقل ، وبعد أن توالت عليه الهزائم ، ادعى ــ ليحفظ ماء الوجه ــ أنه قرر بمِلء ارادته أن يمنح الجزائر استقلالها · ولكن الحقيقة هي أن دوغول كان « مكرها لا بطلا » فى اعترافه بأحقية الجزائر فى الاستقلال والحرية ، ودوغول نفسه على ذلك شهيد ·

واذا كنا لا نعير أدنى اهتمام لمقولة الجنرال العجوز ومن يرتئيها من أبناء جلدته ، فانه يحز فى نفوسنا أن تردد هذه الاكذوبة من طرف بعض أبناء جلدتنا سواء كانوا من الجزائريين الذين لم يعيشوا الثورة ، أو من اخواننا العرب ٠ ومما يحضرنى فى هذا المقام أنه لما عرض فيلم (معركة الجزائر) فى الكويت فى أواخر سنة 1967 ، كان مصدرا بمقدمة للدكتور ثروت عكاشة ، وزير الثقافة فى مصر آنذاك ، شكر فيها الجنرال دوغول على موقفه من العدوان الاسرائيلى فى جوان 1967 ، مشيرا الى أن هذا الموقف ليس غريبا من الجنرال دوغول ، لانه سبق له أن برهن على نبله وشهامته عندما منح الشعب الجزائرى استقلاله !!!

ولكن ، وكما يقول المثل الجزائرى فان « الشمس لا تغطى بالغربال » ، لان قول دوغول الاخير قطع قول كل خطيب ، فقد أفرد الجنرال فصلا خاصا للجزائر فى مذكراته « الامل » كما تحدث عنها فى أكثر من موضع فى بقية فصول الكتاب ، معترفا فى هذه المذكرات بالوضع المأساوى الذى وضعت فيه الثورة الجزائرية فرنسا ، والمأزق الذي وجد فيه نفسه نتيجة ذلك ٠

أود فى البداية أن أشير الى جملة من الملاحظات :

أولا : ان الذين ينعتون دوغول بالانسانية والنبل ينسون أو يتناسون أن مجزرة 8 ماي 1945 التي أدت خلال ثلاثة أيام الى استشهاد 45 ألف جزائرى ، انما وقعت بأمر من الحكومة الفرنسية التى كان يرأسها هذا الجنرال النبيل !!

ثانيا : ان الفضل فى اعادة دوغول الى السلطة بعد أن كان نسيا منسيا ، انما يعود الى الثورة الجزائرية ، فقد عرفت فرنسا أحداثا خطيرة فى الهند الصينية ، وتونس ، والمغرب ، ومصر ، ولكن هذه الاحداث كلها لم تعد الجنرال العجوز الى السلطة ، ولم تهدد المؤسسات الفرنسية كما فعلت ثورة الجزائر ٠

ثالثا : ان دوغول أعيد الى الحكم لتحقيق هدف واحد هو القضاء على الثورة الجزائرية ، ظنا من الفرنسيين ومن دوغول نفسه أنه يستطيع تحقيق ما لم تستطعه أوائله ، خاصة وأنه أصبح مزهوا بنفسه ، لانه اعتبر بطل تحرير فرنسا من الاحتلال الالمانى ، هذا التحرير الذى هو فى الحقيقة من عمل أبناء المستعمرات الفرنسية وفى مقدمتهم أبناء الجزائر ٠ فدوغول جاء ليحقق نصرا عسكريا جديدا لفرنسا ، ولكنه فشل لان النصر الذى تحقق لفرنسا فى السابق انما كان بفضل هؤلاء الذين يحاربونها الآن ٠

رابعــا : ان الذين يدعون أن دوغول كان فى نيته منذ البداية أن يعترف باستقلال الجزائر انما يزيفون الحقائق ، فدوغول عمل كل ما فى وسعه لتحطيم الثورة والقضاء عليها عسكريا ، ولكنه كان كمن يعض على الحديد · ففى سبيل هدفه العسكـــرى تخلص دوغول من جميع الالتزامات العسكرية التى كانت تثقل كاهــل فرنســـا فى المستعمرات الافريقية ، وجمع كل قواته فى الجزائر ، بل انه سحب الفرق الفرنسية المتواجدة ضمن الحلف الاطلسى ليزج بها فى الميدان الجزائرى ·

خامســا : بعد أن فشل دوغول فى أخماد الثورة والقضاء عليها بالوسائل العسكرية التقليدية لجأ الى سـلاح جديد ، محاولا أن يرهب بـه الشعب الجزائرى ، ففجر القنبلة الذرية الفرنسية فى الصحراء الجزائرية ، ولكن كل ذلك ذهب مع الريح ·

ولنعد الآن الى مذكرات الجنرال لنرى كيف يعترف فى أكثر من مكان بأنه كان فى محنة ، ومأزق ، ومأساة بسبب الثورة الجزائرية ·

يعترف الجنرال فى البداية أن « أهمية الجزائر لا مجال للموازنة بينها وبيــن بقية البلاد التى كانت تابعة لنا ، فقد تعزز كثيرا موقفنا فى افريقيا والبحر الابيض المتوسط بفضل الجزائر ، اذ أقمنا فيها نقطة انطلاق لتسللنا الى تونس والمغرب والصحراء ، واستطعنا مؤخرا أن نجند فيها عددا من المحاربين ··· وكشفنا منذ عهد قريب حقول البترول والغاز التى ساعدتنا على استكمال حاجتنا الماسة الى الطاقة الصناعية · اذا فثمة أسباب كثيرة كانت تحمل الشعب الفرنسى على أن يعد امتلاك الجزائر مفيدا ومستحقا » ص 49 ·

ان هذه الاهمية الاستراتيجية للجزائر عسكريا واقتصاديا بالنسبة لفرنسا والتى يدركها الجنرال حق الادراك هي التى جعلته يعمل كل ما فى استطاعته لكسب الحرب لصالح فرنسا وعن طريق القوة ، فأعطى أوامره بأن « لا يكون هناك تهاون فى الجهد العسكرى » ص 72 ، وأنه « يجب البحث عن الخصم والتغلب عليه والحاق الهزيمة به » ص 98 ، وان هذه المهمة العسكرية « كانت تحتجز جيشنا وطيراننا وأسطولنا » ص 225 ، وبسبب هذه الاهمية للجزائر ، وللامكانيات العسكرية الضخمة المخصصة لتلك المهمة « أبقيت قضايا الجزائر تابعة لاشرافى » ص 97 ، وتقديرا من الجنرال للعامل المعنوى لدى الجندى فقد زار الجيوش الفرنسية الميدانية ثمانى مرات منـذ تولى السلطة حتى شهر ديسمبر 1960 ، أي بمعدل أربع مرات فى السنة ، وذلــك لرفع معنويات جنوده وضباطه ·

وبما أن الجهد العسكري يتطلب اعتمادات مالية فى مستوى المهمة الملقاة على عاتقه ، فان الجنرال لم يقصر فى توفير هذه الاعتمادات المالية لجيوشه الجرارة ، فماذا فعل الجنرال دوغول ؟ لجأ الى دغدغة الشعور الوطنى لدى الشعب الفرنـسى ، فتبرع الشعب الفرنسى بـ « 324 مليار فرنك ، منها 293 مليارا من الاموال النقديـة ، يضاف اليها كمية 150 طنا من الذهب » ص 156 · كما انه : « أوقف زيادة الرواتب والاجور ، وفرض رسوما اضافية بلغت 50 مليارا على الشركات والاموال الكمالية ، ورفع سعر مبيع البنزين ، وخفض أو أوقف جميع الاعتمادات الممنوحة الى كثير من مشروعات الابنية وأعمال التجهيزات » ص 156 – 157 ·

كان الجنرال يعتقد أنه سيقضى على الثورة الجزائرية بسرعة بعد أن حشد لها كل الجيوش الفرنسية البرية والجوية والبحرية ، وجمع لها مالا كثيرا ، فطلب من البرلمان سلطات استثنائية ، ولذلك كان يردد فى ثقة مطلقة بأنه ليس « أمام وضع يقتضى حله وديا » ص 49 ·

كان الجنرال يحلم بذلك اليوم الذى يتلقى فيه نبأ استسلام الثوار ، ولكن هذا اليوم لم يأت ، لان « الموقف الذى اختاروه – أي الجزائريون – هو تحمل الاذى دون الاستسلام » ص 58 ، وهو ما « يؤدى الى ابقاء فرنسا تغوص سياسيا وماليـا وعسكريا في مستنقع لا قاع له » ص 54 ·

بدأ الجنرال يدرك أن الامر ليس كما كان يتخيله ويتصوره ، فقد « **كان القتـال شديد الخطر ، وأحيانا منهكا ، وغالبا مخيبا للآمال** » ص 85 ·

وتفتقت عبقرية الجنرال العسكرية عن خطة حربية تهدف الى تقسيم الجزائـر الى عدة مناطق « كادرياج » ، وتطهيرها من الثوار منطقة منطقة ، وهي العمليات المعروفة باسم « جوميل ، وشال ، وبريمير » وغيرها · وقد جند لها الجنرال الآلاف من الجنود والعشرات من الجنرالات ، والمئات من الطائرات والدبابات ، وحـتى البوارج الحربية ، ولكن ماذا كانت نتيجة تلك الحملات الضخمة ؟ يقول الجنرال : « وفى بعض المناطق كجبال الاوراس ، والنمامشة ، والحضنة ، وبيبان ، والونشريس، والظهرة ، والضاية ، وتلمسان ، والاطلس الصحراوى الخ يعاد تأليف تجمعات الثورة فور بعثرتها » ص 60 · والغريب أن يستعمل الجنرال تعبير « بعض المناطق » وهـو يقطع الجزائر من شرقها الى غربها الى أطلسها الصحراوى مضيفا كلمة الخ !!! فاذا كانت هذه المناطق التى عددها الجنرال تعتبر « بعضا » فلسنا ندرى أين هـو « الكـل » ؟

ومما زاد فى حنق الجنرال ـ وهو يتلقى تقارير الهزائم الشنيعة لجيوشه الجرارة ـ أن الثــوار « لم يتجاوز عــددهم فى أي زمن ثــلاثين ألف رجل ، وهــم يكادون يكونون مزودين بالبنادق والقنابل اليدوية وأحيانا الرشاشات ومدافع الهاون ، ولم يكن لهم مدافع ميدان أو أي دبابة أو أي طائرة » ص 60 ٠

وبينما كان دوغول يمني نفسه بالانتصار ـ عسكريا ـ على الثوار فى الجزائـر ، تأتيه لطمة أخرى ، حيث قررت القيادة الجزائرية نقل العمليات العسكرية الى فرنسا نفسها « فيقتل مدنيون من مواطنيه حتى فى شوارع باريس » ص 101 ٠ ولاحظ دوغول « ازدياد اعتداءات جبهة التحرير الوطنية زيادة مذهلة على الفرنسيين فى فرنسا » ص 102 ٠ لا تؤاخذوا الجنرال فى استعمال كلمة « اعتداءات » ٠

وبدأ دوغول يقتنع أنه لا يمكن تحقيق أي نصر على الثوار « لانهم أصبحوا اليــوم يمثلون الاغلبية الساحقة من الجزائريين » ص 110 ، وليس هذا فقط ، بل « انى اعترف فى الوقت نفسه بالشجاعة التى يبديها المقاتلون » ص 102 ٠

ومما زاد الطين بلة أن دوغول أصبح جنرالا على جنود « مست حوادث الجزائر شعورهم معنويا » ص 315 ٠ وأن « القتال انتشر فى جميع مناطق الجزائر وعــلى طول حدودها » ص 21 مما جعل « الجيش ـ الفرنسى ـ غارقا فى بحر من التوتر » ص 58 ٠ و « مورطا فى قتال لا طائل تحته ولا نهاية له » ص 54 ، الامر الذى صير جيش الجنرال غير منضبط حتى « انتهت المأساة الجزائرية وعاد الجيش بكامله الــى الانضباط » ص 361 ٠

وازداد الوضع سوءا عندما أحس الجنرال أن شعبه « كان يتحمل على مضض وبصبر فارغ القتال البالغ النفقات » ص 49 ٠ وبعد أن كان دوغول يستقبل بالهتاف بحياته حيثما حل ، بدأ يلاحظ « تخلى الرأي العام الذى أرهقه الجهد العسكرى والمالى» ص 52 : ولأن الجنرال أخفق فى تحقيق النصر ٠

كانت التقارير تتوالى أمام الجنرال : هزائم عسكرية فى الميدان ـ تمرد فى صفوف الجيش ـ معنويات منهارة ـ انهيار اقتصادى ـ تزايد أنصار الثورة الجزائرية فى العالــم الخ ٠٠٠ فتساءل الجنرال العجوز بعد أن لعن ذلك اليوم الذى عاد فيه الى الحكم : « أليس من الافضل أن نتخلى عن الجزائر التى أصبحت « صندوقــا للاحزان ؟ » ص 109 ٠ ورد دوغول على تساؤله : « فقد أضحى ثابتا لدي أن استمرار هذا الوضع لا يمكن أن يجلب لبلادنا سوى الخيبة والمآسى » ص 108 ٠

فشل دوغول فشلا ذريعا فى الميدان العسكرى ، ونشف ريقه ، فقرر أن يتخلى عن صفته العسكرية ، وأن يلعب لعبة السياسيين ، فاجتمع فى آخر زيارة له الى الجزائر بمن أسماهم أعيان الجزائر ورؤساء المجالس البلدية ، وأراد أن يخلق منهم شيئـــا يضعف به مكانة جبهة التحرير فى نفوس الشعب الجزائرى ، ولم يكد دوغول يُتـــم كلامه حتى جاءته صفعة قوية من أولئك العملاء أنفسهم حيث « أطلق الجميع علـى مسامعي أن الحل النهائى لا يمكن أن يتم الا عن طريق الاتفاق مع جبهة التحرير الوطنية » . ص 106 .

رأى دوغول خلال هذه الرحلة ـ ولا شك أنها أشأم رحلة قام بها فى حياته ـ بأم عينه ، وسمع بأذنه « ما ترك لدى انطباعا واضحا عن حقيقة وضع الجزائـــر » ص 107 ، فقد « كانت الفئة المسلمة ـ أي الجزائريين ـ مقتنعة بأن لها ملء الحـــق بالاستقلال وانها ستحصل عليه ان عاجلا أو آجلا » ص 107

ولكن دوغول حبذ مواصلة اللعبة السياسية ـ بلاك تحكم ـ فراح يلعبها مع من يسميهم بالبرلمانيين وأعضاء مجلس الشيوخ الجزائريين فى باريس ، فاذا بهم هم الآخرون يطلبون منه « افتتاح المباحثات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائريـــة » ص 116 .

وسوس شيطان الطمع فى أذن الجنرال المسكين بما يلى : ماذا ، وقد وقعت الواقعة ، لو فصلت الصحراء عن الجزائر ، فهي وان كانت رمالا فى ظاهرها ، ففى باطنها ما يعوضك عن متيجة ، وشلف ، و ... و ... و ؟ أعجب الجنرال بالفكرة وتبسم بعد طول عبوس وحزن وخرج يصيح ظانا انه اهتدى لنظرية فى الجغرافيـــا وقال : ان الصحراء ليست جزءا من الجزائـــر واعتقد أنه أقنـــع الناس بهـــذه الاسطوانة ... ونام على هذا الحلم الجميل ...

لا شك أن الجنرال حضر بعض المعارك فى الجبهة الاوروبية ، وهي جبهة ذات مناظر خلابة ، فيها الغابات ... والبحيرات ... والانهار وحتى الازهار ، ولكنه لم يكن يظن ان الحرب يمكن أن تقع فى الصحراء ـ ربما كان غائبا عن درس « حرب الصحراء » فى كلية سانسير التى تدرب فيها ـ المهم أن الجنرال لم يستمر فى حلمه الجميل ، لانه بدأ يغرق فى رمال الصحراء ، واشتدت عليه الحرارة ـ حرارة الصحراء، حرارة البترول والغاز ، حرارة الرصاص ـ فأخذته الحمى ، وفشلت كل المحاولات فى تخفيض هذه الحمى الى أن اعترف بالحقيقة « وهي أن كل جزائرى كان يؤمن بأن الصحراء يجب أن تعد قسما من الجزائر » ص 138 .

وسنع الجنرال ـ بعد فشله فى كل الميادين ـ انه من الاحسن أن ينجي البقية الباقية من قوة فرنسا ، وينقذ سمعته كجنرال ، فصرح بأنه « **يترتب على السكان الجزائريين أن يقرروا مصيرهم بأيديهم** » ص 129 · وبعد أن تبجح الجنرال أنه هو الذى سيقرر مصير الجزائر وحده وباسم عظمة فرنسا ، اذا به يتراجع ـ بالدبزة ـ ويعلن : « اننى أتوجه الى زعماء الثورة ··· فندس بانتظارهم هنا لنجد مخرجا مشرفا للقتال الذى ما زال مستمرا ، وبعد ذلك سننهيء كل شيء لكي يكون **للشعب الجزائرى الرأي فى تهدئة الامور · فالقرار فى هذا المجال سيكون ما يقرره هو** » ص 100 ·

وجرت المفاوضات الاخيرة بين جبهة التحرير الوطنى والحكومة الفرنسية ، وكان الجنرال يتابع المفاوضات أولا بأول مخافة أن تفشل فتعاوده الحمى ، ولهذا فما أن تم توقيع اتفاقيات ايفيان حتى تنفس دوغول الصعداء ، وتأكد حينئذ أن الحمى لن تعاوده ، وتفاءل الجنرال العجوز من جديد بعد أن نجا من هؤلاء الجزائريين ، وقد وصف سنة 1962 بـ « عام النعم » ، فقال : « فى عام النعم 1962 ، ازدهر تجديد فرنسا · كانت مهددة بحرب أهلية يكاد يرهقها الافلاس ، ونسى العالم صوتها ، وها هي تتخلص من المأزق » ص 333 ، فقد كانت « فرنسا رجل أوروبا المريض » ص 347 ·

لقد بدأ دوغول الفصل الاخير من كتابه بهذه الكلمة « لقد استقرت الجمهورية الخامسة فى السنة الخامسة من عمرها » ص 366 · وهي دليل قاطع على أن هذه الجمهورية لم تستقر الا بعد أن ولى دوغول مدبرا من الميدان الجزائرى ، وقد كان مدركا أنه لو لم يفعل ذلك لاصاب جمهوريته ما أصاب أمها التى كفنها الجزائريون ودفنها دوغول نفسه ·

وأخيرا ، ألم يان للجاحدين أن يعترفوا ، والمكذبين أن يؤمنوا أن الشعب الجزائرى كان فاعلا مرفوعا ، وأن دوغول لم يكن حتى مفعولا ، بل كان مجرورا ·؟

فرحمة الله عليكم أيها الشهداء الابطال ، وسلام عليك أيها الشعب الجزائرى العظيم ، وحمدا لله على نعمة النصر ·

حول دور جماهير البادية فى ثورة نوفمبر الكبرى

د. عبد القادر زبادية

رئيس قسم الدراسات التاريخية
والآثار ـ جامعة الجزائر



استمرت الثورة الجزائرية الكبرى حوالى ثمانى سنوات تقريبا ، وراح ضحيتها من الشهداء حوالى الثلاثة ملايين شهيد ، منهم مليون ونصف ماتوا فى ساحة الوغى ، وحوالى مليون ونصف ، آخرين ماتوا من جراء التعذيب والحوادث النفسية والجسمية ، المتعددة الجوانب والنوعيات .

ولا تزال هذه الثورة العظيمة تحتاج الى مآت من المجلدات لكى يحيط الانسان بكل ما قدمته وما أدته من خدمات للجزائر وللانسانية جمعاء .

ظل موقف سكان البادية الذين يمثلون الطبقة الفلاحية وعمال الارض يتسم بالتمرد طيلة الفترة الاستعمارية التى استمرت مائة واثنين وثلاثين سنة كاملة ، بما فيها فترة المقاومة الاولى ؛ ففى كل مرة يقوم سكان البادية الجزائرية بانتفاضة ما يتعرضون للقمع والتشريد ودفع الغرامات وتكاليف الحرب الباهضة ، فيخلدون للسكينة وأنفسهم ممتلئة غيضا وحقدا على الادارة الاستعمارية وممثليها من الحكام المحليين والقياد . وكان ذلك يعنى أن انتفاضاتهم العديدة لم يكن ينقصها الاخلاص والتصميم وشدة العزيمة ، ولكن كان ينقصها التنظيم والاتساع والشمول . وقد بقى الامر كذلك ، تقوم الانتفاضات العديدة وتقمع ، وهذا حتى ثورة الفاتح من نوفمبر المجيدة لسنة 1954 .

لقد تبنت جماهير الفلاحين هذه الثورة منذ البداية وأعطتها من التضحية والفداء كل ما يمكن أن تعطى ، ويمكن القول بأن ثورة نوفمبر كان سكان البادية يشاركون فيها بمعدل قد يزيد عن الثمانين بالمائة من حاجياتها البشرية • فقد قامت تلك الثورة في الجبال ، فالتحق بصفوفها سكان الجبال والبوادي والسهول بأعداد هائلة حقا ، وظلوا طيلة سنوات الثورة الطويلة يطعمون الجنود ويمدونهم بالمؤونة ، ويتحملون في سبيل ايوائهم وتوفير العلاج لهم والمؤونة كل أنواع التعـب والتعسف والارهاق ؛ وكلهم كانوا من المشكوك فيهم من طرف الجيش الاستعماري لهذا السبب ، وهـذه الوضعية كانت تعني استباحة الضباط والجنود الفرنسيين لدم الفلاحين في البوادي كلما بدا لهم ذلك وبهذه الطريقة غاب الكثيرون تحت قنابل الطائـرات والدبابات ، ووضع الكثيرون تحت الحراسة المشددة في المحتشدات ، فسلط عليهم التعذيب فمـات من مات وتشوه من تشوه •

ان موضوع مشاركة الفلاحين في الثورة الجزائرية ودورهم الكبـير فيه لم يحظ بالعناية اللازمة حتى الآن ، وباستثناء بعض افراد لا يكادون يذكـرون ، لقد شارك الشعب الجزائري كله في الثورة ولم يتوان أي فرد في أداء المهمة الموكلة اليه أو التي كان يستطيع أداءها ، ولكن دور الطبقة الفلاحية ربما كان له دور خاص ، وسبب ذلك أن معظم المعارك الكبرى كان ميدانها في الجبال والبوادي ، فكان الفلاحون يستشهدون فيها جماعات وفرادى ، ويقدمون لرجالها كل العون ، فهم يعطونهم الاخبار عن تنقل جيش العدو ويقاسمون المجاهدين ما يتيسر لديهم من الزاد والعون ، ويتسترون عليهم ويجتهدون في معالجة المرضى والمصابين •

ان المشاركة الجماعية لجماهير البادية الجزائرية في ثورة نوفمبر الكبرى لهي احدى الخصائص الهامة للثورة العظيمة ، ويستلزم هذا من الباحثين في ميادين هذه الثورة وخصائصها الكثير من العناية والاهتمام دون شك ، وما هذه الاسطر الا مجرد الفات انتباه لهذا الجانب من جوانب الثورة وخاصياتها العديدة •

من وثـائق الثـورة
حـول استشهـاد الشيـخ العـربى التبسى

عـلى مرحـوم



« رجل علم وعمل ، فريد فى ورعه وتقواه ، شديد فى الحق وحماية حماه وفى غيرته على حرمات الدين ، لا يتساهل مع الخونة والمفسدين ، متضلع فى جوانب علمه ، ودائرة اختصاصه • بليغ العبارة ، دقيـــق الاشارة ، سريع البديهة ، حاسم الحجة • أقض مضاجع المستعمرين وصنائعهم ، وأضحى شجى فى حلوقهم • امتاز بالصراحة والشدة فى حملاته على الجهاز الاستعمارى الجائر ، وخاصة فيما يرجع لفرض سيطرته على الدين الاسلامى فى الجزائر ، واستعباده لرجاله ، واغتصابه لاوقافه ظلما وعدوانا ••• » •

« لقد حاول المستعمرون مساومته فى مبادئه ، وطمعوا أن يجدوا منـــه لينا أو مهاودة فى حقوق بلاده ••• فما رأوا منه غير المضى فى حربهم ، والتنديد بسياستهم وعنصريتهم ، فاضطهدوه وعذبوه ، وفى غير ما مرة سجنوه •• ولكنــه بقى ثابتـا

كالطود الاشم ، لا يتزحزح عن موقعه ، ولا ينكص على عقبيه ٠٠٠ متمثلا بقول ربه : «رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه » ٠

هذه كلمات كنت كتبتها منذ أكثر من عقدين من الزمن ، عن أستاذنا المبرور الشهيد ، الشيخ العربى التبسى ، رحمة الله عليه ٠ أوردتها فى مطلع حديثى هذا عنه، تذكيرا ببعض ما جبل عليه من كريم السجايا ، وعلو الهمة ، وشجاعة القلب والعقل ٠٠٠ وقد أردت أن أستعيد بعض ذكرياته ، بمناسبة مرور ربع قرن على قيام الثورة التحريرية الوطنيـــة ٠٠٠

تلك الذكريات الخالدة ، التى ظلت وستظل موضع القدوة ، ومثار العبرة والوعى، لدى أجيالنا ومواطنينا ٠٠٠ كلما أستعرضوا أطوار الكفاح الوطنى الجزائرى ٠٠٠ وذكروا الرجال الابطال الذين أخذوا على عاتقهم قيادة ذلك الكفاح الطويل ، نحو الظفر المرجو ، والنصر المرتقب ٠٠٠ أولئك **(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ٠٠٠) ٠**

منذ حوالى سنة 1910 تقريبا ، شد الشيخ العربى الرحال الى بلدة نفطة بجريد تونس ، لاستكمال حفظ القرآن الكريم ، وتلقى ما يتاح له من المعلومات الاوليـــة ، الدينية والادبية ، وقواعد اللغة العربية ، قبل أن يواصل رحلته الى جامع الزيتونـــة بتونس ، سنة 1913 ، ليمضى به عدة سنين ، قبل أن يشد رحاله أخيرا الى أزهر مصر ، سنة 1920 ، ليتابع فيه دراسته العالية ، طوال نحو من سبع سنين دأبا ٠٠٠ وقد كان الشيخ على اتصال دائم بوطنه ، متتبعا لاحداثه وتطوراته ، أثناء مزاولته العلم ، سواء بتونس أو بمصر ٠٠٠ على عكس ما كان عليه بعض مواطنيه من طلاب الزيتونة والازهر يومئذ ، أولئك الذين قطعوا ـ أو كادوا ـ صلاتهم بوطنهم بمجرد فراقهم لذويهـــم وأرضهم ٠٠٠ وخاصة اذا أسعف الحظ بعضهم وأحرزوا على وظائف يرتزقون منها ٠٠٠ بعد تخرجهم ٠ وقد ابتلعت مصر وتونس فئة من هؤلاء ، بينما كان وطنهم فى أمس الحاجة الى علمهم وخدماتهم ٠٠٠ على أن منهم من عاد الى وطنه ، بعد أن أحرز عـــلى استقلاله ، واستتب الامن والسلام فى ربوعه ٠٠٠

لم يفتنا الشيخ العربى ـ كما أشرت ـ يعيش بروحه وضميره على أرض وطنه ـ وان كان بجسمه ظل بعيدا عنه ، لمدة أكثر من عشرة أعوام ··· وهاهو يراقب عن كثب ما يتمخض عنه فجر النهضة الوطنية ، التى ظهرت طلائعها الاولى ، بعد أن وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها ··· ونزل أبو النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس الى الميدان ، وليس بيده من سلاح يناضل به ، الا سلاح العلم والايمان ··· وما أعظمه من سـلاح ···

ومنذ ظهور صحيفتى « المنتقد » ثم « الشهاب » الاسبوعى ، أخذ يتابع بغاية الاهتمام والاعجاب نشاط هاتين الصحيفتين ··· ثم أبى الا أن يربط صلته الادبية والروحية بصاحبهما · وشرع يراسل من الازهر الصحيفة الثانية ، بعد تعطيل الاولى ··· ولعل أول مراسلة له تمت بعد محاولة الاغتيال الشهيرة، التى استهدف لها الشيخ ابن باديس بعد خروجه من درس التفسير ، الذى يلقيه اثر صلاة العشاء ؛ وذلك فى شهر ديسمبر سنة 1926 ···

فقد نشر (الشهاب) الاسبوعى (عدد 82 س 2/30 رجب 1345 هـ و 1927/2/3م) رسالة باسم مجاورى الازهر من الطلاب الجزائريين ··· بعد أن قدم لها بالكلمة التاليه :

« ننشر مع الشكر الجزيل هذا الكتاب من اخواننا الازهريين ، الدال على غيرتهم على دينهم ، وتعلقهم بوطنهم · حامدين الله تعالى على ما نتحققه من خير لمستقبل الجزائر ، على يد هؤلاء الابطال المجاهدين فى سبيل العلم والدين ··· » ·

وجاء فى ديباجة الرسالة ـ بعد البسملة ـ ما يلى :

« واذا العنايـة لاحظتـك عيونها نـم فالمخاوف كلهـن أمـان »

« أما بعد فنهنى أنفسنا ، ونهنى العلم وآمال الامة ونهنيك بالنجاة من كيد من ابتلى الله به الدين والامة والعلم والقومية ··· واننا لما أصابك لفى غم يونس ، وحـزن يعقوب ، ونشكو الى الله التقصير ··· فلك فى ابن طالب ـ جعل الله أجلك أفسح من أجله وقارب بينك وبينه فى عظيم الاجر ـ ما يملأ النفس عزاء ، والقلب رضى ··· وان جل الخطب وعظم المصاب ··· وان ما نزل من القضاء الذى لا محيص عنه ، قد كان علينا ـ جيرة الازهر الجزائريين ـ أوجع نبا ··· الخ » ·

(التوقيع عن جيرة الازهر الجزائريين : العربى بن بلقاسم التبسى)

ثم نقرأ له فى نفس الصحيفة (عدد 83 ـ س 7/2 شعبان 1345 و 1927/2/10 م) أى منذ أسبوع واحد فقط مقالا قيما ، جعل له عنوانا هذا البيت الشعرى ، وكأنه يشير به الى محاولة الاغتيال الآنفة الذكر · بل ان فى المقال ما يعبر عن التنديد بهـا واستنكارها ··· ونص البيت هو :

« أريـد حياتـه ويريـد قتلى عذيـرك مـن خليلـك من مـراد »

وجاء فى استهلال الموضوع ، تنويها بالشهاب ، واشادة بذكر صاحبه :

« جريدة (الشهاب) ـ وأيم الله ـ نعمة من نعم الله على أمم شمال افريقيا عموما والجزائر خصوصا ، يجب أن تؤدى الشكر عليها لله خالصا ، وتشكر لمن كان أبا بجدة هذه اليد البيضاء حتى تستحق المزيد · وجريدة الشهاب ظاهرة من ظواهر الحيـاة ، نرجو منها أثرا طيبا فى حياة الجزائر الدينية والادبية ، وفى سمعة الجزائريين ، الذين لا يكاد يظن أن فيهم من هو بمثل هذه الصحيفة جدير ··· » ·

« وجريدة الشهاب كنز من كنوز السنة ، ينقل الى قرائه ما لذ وطاب ، مما تقطع الاعمار دون الوصول اليه ، ليقبس منها من يريد الله به خيرا ·· وجريدة الشهـاب مدرسة شعبية عصرية ، على أحدث نظام وأشهى أسلوب ··· فيها تلتقى الديانـة الاسلامية بالمدنية العصرية الصحيحة ··· لا تفتأ تهدى الى قرائها من مختلف العلوم ، وضروب المعارف ما تقر به العين ، وتحسد عليه الجزائر ··· » الخ ·

وعاد الشيخ العربى من مصر الى وطنه فى أواخر سنة 1927 ، بعد ما ملأ وطابه من العلم ، ونهل من معين المعرفة والثقافة ، ما استطاع اليه سبيلا ، وما اتخذه منهمـا سلاحا فعالا لمقارعة خصوم الدين والامة والوطن ··· وما عتم أن أخذ مكانه فى ميدان المعركة الوطنية الكبرى ، التى كان يخوضها صديقه ابن باديس ، منذ أوائل العقـد الثانى من هذا القرن ، عندما انتصب للتدريس بقسنطينة ، منذ سنة 1913 · وكرس كل جهوده ومواهبه العلمية ، وشجاعته النفسية والذاتية ، من أجل الانتصار فى تلك المعركة ، ضد الجهل والجمود والتضليل ، وضد استبداد الاستعمار وأعوانه من كل

نوع ··· ووقف الجندى الباسل الى جانب قائده ، الموقف الذى تقتضيه منه الرجولة ، وتدعو اليه البطولة ، وخاصة فى تلك الايام السود ، التى كان فيه سوط المحتل مسلطا على ظهور أبناء الشعب · فى حين كاد ينعدم فيه من يعلو صوته بالنكير ، أو يكون لامته فى محنتها نعم النصير ···

منذ ذلك اليوم ربط الشيخ الشهيد مصيره بتلك المعركة ··· كشأن قائده ومن كانوا معه فى جهاده من السابقين الاولين ··· وتوثقت صلة العلم والعمل بين الرجلين· وغدا الشيخ العربى من أبرز كتاب (الشهاب) الاسبوعى والشهرى ··· يدبج يراعه المقالات الممتعة ، فى حقل الاصلاح ··· وكانت كتاباته تحظى بالتقدير والتنويه ، وهذا موضوع له بعنوان :

« **الاضرار بالدين باسم الدين** » يقدم له قلم التحرير ، فى العدد (115 س/فى 2 ربيع الثانى 1346 و 1927/9/29) بهذه الكلمة ، تقديرا واشادة به ··· وهى :

« الاستاذ العربى التبسى عالم مفكر ، قضى سنوات بالازهر ، ونال شهادة التطويع هذه السنة من جامع الزيتونة · وقد عاد الى وطنه الجزائر ، ومسقط رأسه تبسة ··· ينشر العلم ، ويهذب العقول ، ويحارب الخرافات والبدع ··· ويعمل لتكوين ناشئة متعلمة مهذبة ··· والشهاب يبتهج بأن يكون واسطة لايصال معارفه وارشاداته الى قرائه الكرام ··· » ·

وبعد ما حصل التعارف والتآلف بين الشيخين ، عن طريق (الشهاب) ـ كما أشرت ـ وقع الاتصال المباشر ، عندما قام الشيخ العربى بزيارة لادارة الشهاب فى قسنطينة · واجتمع خلالها بالشيخ ابن باديس لاول مرة ، فى أواخر سنة 1928 · ولابد أنه وقع يومئذ بينهما تبادل الآراء والافكار ، حول الوسائل الكفيلة بانهاض الامة ، ونشر اليقظة والوعى بين بنيها ، وانقاذها مما كانت فيه من جهل وظلام ···

ونشر الشهاب عن هذه الزيارة كلمة قال فيها :

« هذا رجل عالم نفاع ، قصر أوقاته ببلدة تبسة على نشر العلم الصحيح ، وهدى العباد الى الدين القويم · وقد عرف قراء (الشهاب) مكانته بما نشرناه له ، وخصوصا

مقالته الاخيرة (بدعة الطرائق فى الاسلام) ··· لاول مرة زار هذا الاستاذ قسنطينة، فرأينا من فصاحته اللسانية ، ومحاجته القوية ، مثل ما عرفنا من قلمـــه ·· الى أدب ولطف ، وحسن مجلس ··· طابت له المنازل ، ورافقته السلامة حالا ومرتحلا ··· »

(عدد 170/19 جمادى الاولى 1347 و 1928/11/1) ·

وفى أثناء رحلة فى بعض بلدان شرق عمالة قسنطينة ، قام بها الشيخ ابن باديس، فى صائفة 1929 ··· اجتمع مرة أخرى بالشيخ العربى فى تبسة ··· فقال عنـــه فى انطباعاته عن رحلته ··· واصفا اياه : « الاستاذ العربى ابن الزيتونة والازهر ، مشارك مشاركة قوية فى علوم الشريعة والادب · ذكى الفؤاد ، صحيح الفكر والعلم ، فصيح اللسان ، محجاج قوى الحجة ، حلو العبارة ··· شديد الحب لدينه ووطنه · شديد فى الدفاع عنهما ··· » ·

(مجلة الشهاب ج 1 م 5 تاريخ جمادى 1348/2/ونوفمبر 1929)

استقر الشيخ فى تبسة ، وشرع فى القاء دروسه العامة ، بأسلوبه البديع المؤثر · فأحدث بدروسه تلك ما كان متوقع لها ، من أثر عميق فى النفوس ، ويقظة فى العقول والاذهان ··· ولكن سرعان ما أمر (الحاكم الفرنسى) امام المسجد الرسمى ، بمنعه من القاء الدرس فيه ، وغلقه فى وجهه ··· وتوجه الشيخ الى الفئة الواعية من أهل البلد ، يدعوها الى تأسيس مدرسة ومسجد حر ··· كما هو الشأن فى بلدان أخرى ، حيث أسس أهلها مشاريع تعليمية ودينية ··· استقلوا بها عن الحكومة ··· ولكن المعنيين بهذه الدعوة فى تبسة أحجموا عن السعى فى تحقيق ما دعوا اليه ، بعد أن بلغهم تهديد ووعيد من طرف الحاكم ··· اذا ما هم استجابوا لداعى الخير ···

ويظهر أن الشيخ قد أصيب فى هذه الآونة بخيبة أمل ··· ولذلك أقدم على مغادرة تبسة الى بلدة (سيق) بعمالة وهران ، بناء على طلب الشيخ ابن باديس منه ذلك · كان هذا فى سنة 1930 ··· وقد أدى مهمته الاصلاحية فى سيق أحسن أداء ··· وخلد فيها ذكرا جميلا ، لم يزل يذكر به ، ويؤثر عنه لمدى أعوام ··· وبعد سنتـين اثنتين عامرتين بصالح الاعمال ··· عاد الى مسقط رأسه ، نزولا عند الرغبة الملحـة

التى أبداها أهل تبسة . بعد أن استيقظ احساسهم وشعروا بمدى الفراغ الروحى والدينى الكبير ، الذى تركه غياب شيخهم فى بلدتهم . بعد أن فارقهم ... واستأنف جهاده كما كان منتظرا منه ... فكانت النتيجة فى مستوى ما بذل من الجهود ... اذ تأسس مسجد ومدرسة فى مدة قصيرة ، وذهب تهديد (الحاكم) فى مهب الرياح... كما يزيل ظلام الليل نور الصباح ... وازدهرت الحركة ازدهارا ، وآتت أكلها باذن ربها ... فتأسست مشاريع اجتماعية وثقافية أخرى : أسس نادى الشبان المسلمين على أنقاض حانة لمستعمر ... وجمعية كشفية ، وأخرى فنية ، وثالثة رياضية ... فأصبحت تبسة - بعد وجود هذه المؤسسات فيها - مضرب المثل فى النهضة والحياة .

ومن الطبيعى ألا تروق هذه النهضة لممثلى السلطة الاستعمارية ، وعلى رأسهم الحاكم ... الذى دأب على محاربتها ، والسعى فى عرقلتها ، بكل ما لديه من خبث ومكر وعدوان ، جاعلا هدفه ... أن يوقع الشيخ فى حبائل مكره ... كما سيأتى فيما بعد ...

وانتخب الشيخ العربى فى الهيئة الادارية لجمعية العلماء ، ابان اجتماعها العام الثانى ، سنة 1932 . وبعد نحو من عامين أصبح كاتبا عاما لها . وما برح يشغل هذا المنصب فيها . الى أن أنيطت بعهدته نيابة الرئاسة بعد وفاة الشيخ ابن باديس ... كان متفانيا فى خدمة مبادىء الجمعية ، واعلاء مكانتها ، والحفاظ على ناموسها ، وتبليغ رسالتها العلمية والاصلاحية . وقد أوذى شديد الاذى من أجل ذلك فى شخصه وفى مصالحه ... قصد الحيلولة بينه وبين ما كان ينهض به من مهام حيوية ... فى بناء المجتمع الاسلامى الجزائرى ، واستعادة شخصيته الوطنية ...

بعد انتقال ابن باديس الى رحمة الله سنة 1940 ، ترك وراءه مئات من تلاميذه الذين كانوا يتلقون عنه الدروس العلمية فى قسنطينة . وكان لابد أن يعوضه فى القيام بها أحد الشيخين : اما الميلى واما التبسى ، وكلاهما يحظى بالكفاءة العلمية المطلوبة وزيادة ... ونظرا لبعد الثانى عن مقر الدروس وارتباطه بأعمال ذات أهمية قصوى في تبسة ، تقرر أن توكل المهمة الى الاول ، حتى نهاية العام الدراسى ... ثم

يقع النظر فى تنظيم جديد يؤمن استمرار الدروس بصفة دائمة منتظمة ··· لان الشيخ مبارك الميلى لا يستطيع أن يواصل القيام بالمهمة ، لما كان يعانيه من مرض ··· وهكذا قررت جمعية العلماء أن تنقل تلك الدروس الى تبسة ··· ابتداء من شهر أكتوبر 1940 ، مفتتح السنة الدراسية ··· ليتولى تسييرها والاشراف عليها الشيخ العربى··· واستقبل مئات التلاميذ فى هذه البلده أحسن استقبال ، وتابعوا الدراسة فى أحسن الاحوال · وقد قام الشيخ ومساعدوه بمسؤوليتهم العلمية ازاء أولئك التلاميذ خير قيام ، طوال أعوام ···

بيد أن الاستعمار لم يهادن الشيخ فى هذه الفترة ، ولم يستطع أن يغمض عينيه على حركته الجديدة ، وهو يرى أفواج الطلاب تغدو وتروح على أماكن الدراسة ، فى حيوية ونشاط ··· ولذلك ما عتم أن دبر له مكيدة خطيرة ··· كادت تذهب بحياته ـ لولا لطف الله ـ تلك هى تهمة اتصاله بالالمان فى تونس ، وتلقيه السلاح منهم ، من أجل اثارة الجزائريين ضد فرنسا ··· وألقى عليه القبض (1) ··· بناء على هذه التهمة الملفقة فى مكتب (الحاكم) وأعوانه ··· وقضى الشيخ فى السجن حوالى ستة أشهر ، بين (تازولت) وقسنطينة ··· ولم يتم اطلاق سبيله الا بعد سعى من رجال مخلصين فى عملهم لفائدة القضية الوطنية ···

لم يفت فى عضده ، أو يفل من عزيمته ما سلط عليه من عنت واضطهاد فى سبيل دينه ووطنه ··· وواصل اشرافه على سير الدروس ··· الى أن وقعت حوادث الثامن ماى 1945 · فألقى عليه القبض ثانية · كما ألقى القبض على الشيخ الابراهيمى رئيس الجمعية ، وعدد من أعضائها ، الى جانب القاء القبض أيضا على آلاف المواطنين ، من مختلف الهيآت والمنظمات والاحزاب · وبعد سراحه فرضت عليه الاقامة الجبرية فى المدية لبضعة أشهر ··· وتوقفت الدروس فى تبسة ، بعد هذه الاحداث الجسام ··· انما كان توقفها مؤقتا · ريثما تعود الى مقرها الاول فى قسنطينة · حينما يأتى أوانها ، وتتيسر وسائلها ··· وتحقق الامل بعد أقل من عامين ···

(1) كان القاء القبض عليه فى سنة 1943 ·

وجدت جمعية العلماء غاية الجد . وبذلت جهودا جبارة ، من أجـــل اعادة الحياة لتلك الدروس ، التى أضحت أمانة فى عهدة الجمعية ، يجب عليها أداؤها ، وفاء لذكرى المرحوم مؤسسها منذ سنة 1913 ... وأثمرت تلك الجهود ثمرتها ، المتمثلة فى تأسيس (معهد عبد الحميد بن باديس) بقسنطينة ، وافتتاح الدروس فيه ، فى أواخر سنة 1947 ... وتم انتداب الشيخ العربى للاضطلاع بأعباء ادارته . فكان نموذجا قليل النظير فى الضبط والنظام ، والتوجيه السديد ، والتكوين الرشيد ، فى نطاق التربية العلمية والخلقية ، التى هى عمدة بناء الجيل الصالح فى كل أمة واعية ... راشدة ...

ان عملية انجاز تأسيس المعهد تعد خطوة بعيدة المدى فى تاريخ النهضة الجزائرية الحديثة ... عبر عنها الشيخ الابراهيمى فى مقال له بقوله :

« هذا المعهد أمانة الله بيننا وبينك ـ أيتها الامة ـ وعهد العروبة والاسلام فى عنقنا وعنقك ، وواجب العلم علينا وعليك ، وحق الاجيال الزاحفة الى الحياة مـــن أبنائنا جميعا . فأينا قام بحظه من الامانة ، ووفى بقسطه من العهد ، وأدى ما عليـه من الواجب ، واستبرأ لذمته من الحق ..؟ » .

أما منهجه فى تكوين الطلاب واعدادهم للحياة الجدية فقد حدده فى هذه الفقرة :

« يقويهم فى الدينيات علما وعملا . وفى القرآن حفظا وفهما . ويروض ألسنتهم على القراءة والخطابة ، وأقلامهم على الانشاء والكتابة ، وعقولهم على التفكير الصحيح ، ويصوغهم صياغة أخلاقية متقاربة . ويشرف بهم على علوم الحياة ، من باب الرياضيات والطبيعيات ... ويهيئهم تهيئة صحيحة قوية للتعليم العالى . هذه هى حقيقته لا نغلو فى بيانها ولا نقصر ... » .

واستمر المعهد على أداء رسالته الثقافية نحو الاجيال ، قرابة عشرة أعوام . الى أن تعطلت الدروس فيه تحت ضغط ظروف الحرب ... وبعد أن احتل الجيش الفرنسى دار الطلبة ... كما احتل كثيرا من مدارس التعليم العربى الحر ، فى مختلف البلدان. وعطل بقيتها عن التعليم . وذلك فى شهر يوليو سنة 1957 ...

في آخر عام 1373 هـ و 1954 م ، عقد الشيخ العربي العزم على الرحلة الى البقاع المقدسة ، لاداء فريضة الحج ، يرافقه صديقه الشهيد أحمد بوشمال ، العضو الاداري في جمعية العلماء ... وعمدة الشيخ في كثير من شؤونه . ومستودع سره ... كما كان دائما بالنسبة لسلفه : الشيخين ابن باديس والابراهيمي ... وعند رجوعهما من الحج عرجا على دمشق ... ثم القاهرة ، حيث كان يقيم الشيخ رئيس جمعية العلماء ، بمعية مستشاره الخاص الاستاذ الفضيل الورتلاني ... ولا ريب في أنه كان لهـذا اللقاء بين الرئيس ونائبه أهمية خاصة ، بالنسبة للجمعية ومشاريعها ، وبالنسبـة للاحداث التي أخذت بوادرها تبدو يومذاك في أفق الحياة الوطنية بصفة عامة ...

بعد هذه الرحلة المباركة عاد الشيخ ليستأنف جهاده في أرض الوطن ، كما كان من ذي قبل مشرفا على جميع مؤسسات الجمعية : المعهد ، والجريدة (البصائـــر) ، والمدارس الابتدائية الحرة ... طبقا للتوجيهات التي تلقاها من رئيسه في القاهرة ... ومن أهم الاعمال التي أنجزها هي : عقد الاجتماع العام وتجديد انتخاب الهيئة الادارية لجمعية العلماء . وذلك بتاريخ : (23 جمادى الاولى 1375 ـ موافق 7 جانفي 1956) : وقد ألقى في ذلك الاجتماع خطابا منهجيا ضافيا ... جمع فأوعى ، وكان في مستوى الأحداث الجارية ـ حينئذ ـ فوق تراب القطر . اذ أنه ألم فيه بكل ما يجب عمالـه والقيام به ، بالنسبة للافراد والجماعات والامة . في نطاق أوكد الواجبات ، الـتى تتطلبها أوضاع الثورة المسلحة ، التى تتوقف على مصيرها حياة أو موت الامة والوطن قاطبـــة ...

وأود أن أنهي هذا العرض المقتضب عن حياة الفقيد الشهيد ، بتسجيل فقرات من البلاغ الرسمي ، الذي صدر عن الاجتماع المشار اليه . وقد تناول الحالة التي كانت سائدة في القطر حينذاك وموقف الجمعية منها . ومما جاء فيه ما يلي :

ـ « ... ويعلن بكل صراحة أن النظام الاستعماري المفروض بقوة السلاح عـلى القطر الجزائري ، منذ سنة 1830 ، هو المسؤول الوحيد عن كـــل المآسي والمصائب والويلات ، التي وقعت في القطر الجزائري . وذلك بما أحدثه فيه من ميـــز عنصري مخجل ، وما سلكه فيه من سياسة التفقير والتجهيل والحرمان من كل نعم الحياة بالنسبة

للعنصر الاسلامى ··· وما حارب به الدين الاسلامى فى أقدس مقدساته وما أجهز به على التعليم العربى القرآنى ، فى كل جهة من جهاته ··· وما تعمده من محق جنسية الامة الجزائرية ومحاولة ابتلاعها ، ومحو كل مظهر من مظاهر سيادتها ··· » ·

« ويترحـــم على الشهداء الابرار ، الذين ذهبـوا ضحية القمع الاعمى الفظيـع ويدعو الامة للقيام بواجبها نحو أبنائهم وعائلاتهم ، وكفالتهم كفالة يوجبها الاسلام وتفرضها المروءة والشرف ··· » ·

ـ « ويقول كلمة صريحة علنية يرجو أن يسمعها المسؤولون فى باريس · وأن يسمعها العالم أجمع · وهى أنه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية وسريعة الا بالاعتراف العلنى الصريح بكيان الامة الجزائرية الحـر ، وجنسيتها الخاصـــة ، وحكومتها القومية ، ومجلسها التشريعى المطلق التصرف · فى دائرة احترام مصالح الجميع والمحافظة على حقوق الجميع ··· » ·

ـ « ويؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة ، والاقدام على بناء النظام الحر الجديد الا بواسطة التفاهم الصريح المخلص ، مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائرى ، من رجال الحل والعقد ، الذين أظهرهم الكفاح الجزائرى » ·

« ويوصى الامة ختاما بالحق ، ويوصيها بالصبر ، ويستحثها على العمل الصالح ، والثبات وتوحيد الصفوف ونسيان الخلافات القديمة · حتى تستطيع متحدة متظافرة أن تصل قريبا الى الدرجة الرفيعة ، التى أهلها لهـــا جهادها المستمر منــذ أحقاب ، وكفاحها الشريف ، الذى أصبح فى العالم مضرب المثل ، وتاريخها الحافل بجلائـــل الاعمال ·· » (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) (2) ·

وظل الشيخ العربى مثابرا على ممارسة مسؤولياته ومهامه بالمعهد فى قسنطينة ، وبمركز الجمعية فى العاصمة الى اليوم الذى تم فيه اختطافه من منزل اقامته بالجزائر . ثم اغتياله من طرف عصابة اليد الحمراء الفرنسية ، كما سيأتى بيانه ··

(2) (البصائر) عدد 349 ـ 29 جمادى 1 ـ 1375 ـ 13 جانفى 1956 ·

وذات يوم من أيام شهر رمضان سنة 1376 هـ حمـــل الى البريد ظرفا على غـــير انتظار ٠٠ واذا به يحتوى على مفاجئة جد أليمة ٠٠ اذ كان به بلاغ باسم جمعية العلماء حول اختطاف الشيخ من منزله واغتياله ، بصورة وحشية فظيعة ٠٠ ومعه كلمة تذكير واستنهاض ، تدعو جميع الهيئات العلمية الاسلامية فى العالم ، الى اعلان استنكارها وشديد احتجاجها ، ضد اعتقال واغتيال أحد كبار علماء الاسلام فى الجزائر ٠٠

وأما الذى بعث لى بالبلاغ والكلمة التى معه باسم مستعار ، فهـــو الاستاذ أحمد حمانى ٠٠ كما بعث لى فيما بعد بعدة تقارير هامــــة ، عـــن معارك الثـورة وأحداثها وتطوراتها ، بعنوان خاص فى مدينة طانجة ٠٠٠ وقد قمت بنشر البلاغ المشار اليـــه والتقارير ، على نطاق واسع ، فى الصحافة المحلية ، والاذاعات المغربية ٠ وفى صحيفة (المقاومة الجزائرية) ٠٠

ونظرا لما تكتسيه هاتان الوثيقتان من أهمية تاريخية ٠ فقد رأيـت أن أنشرهما اليوم بمناسبة ذكرى ربع قرن على اشتعال نار الثورة التحريرية ٠٠ وبعد مضى حوالى ثلاث وعشرين سنة على استشهاد أحد كبار علمائنا الابرار المجاهدين ٠٠ من أجل حرية واستقلال الجزائر العربية المسلمة ٠ واعلاء كلمة الله فيها ٠ وجعل كلمة الذين كفروا السفـلى ٠٠

كلمـة الختـام :

لما انتهيت الى هذا الحد من الكتابة ، شعرت أننى لا زلت بعد لم أوف أستاذنا حقه على من التكريم ، والذكر الجميل ٠٠ ولذا آثرت أن يكون مسك الختام لموضوعى هذا باقة جميلة من كريم الصفات ، وحميد السجايا ، التى أصبغها قلم شيخنا الابراهيمى على الفقيد العزيز ٠ وهو يتحدث فى مقال له عن (المعهد) أثناء عام 1948 ٠٠ قال :

« والاستاذ التبسى ـ كما شهد الاختبار وصدقت التجربة ـ مدير بارع ـ ومرب كامل ، خرجته الكليتان الزيتونة والازهر فى العلم ، وخرجه القرآن والسيرة النبوية ، فى التدين الصحيح ، والاخلاق المتينة ٠ وأعانه ذكاؤه وألمعيته على فهـــم النفوس ، وأعانته عفته ونزاهته على التزام الصدق ، والتصلب فى الحـــق وان أغضب جميع

الناس ٠٠ وألزمته وطنيته الصادقة بالذوبان فى الامـــة والانقطاع لخدمتها بـأنفع الاعمال ٠٠ وأعانه بيانه ويقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة ، ومقارعة الاستعمار فى جميع مظاهره ٠٠ فجاءتنا هذه العوامل مجتمعة منه برجل يملأ جوامع الديـن ، ومجامع العلم ، ومحافل الادب ، ومجالس الجمعيات ، ونوادى السياسة ، ومكـــاتب الادارة ، ومعاهد التربية ٠٠ » (البصائر عدد 44/20 رمضان 1367 ـ 26 يوليو 1948) رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل فى جنة الخلد مثواه ٠٠

وهذا نص الوثيقتين :

(1) بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
فى قضية اعتقال الاستاذ الشيخ العربى التبسى
الرئيس الثانى للجمعية ، ومدير معهد ابن باديس

فى مساء يوم الخميس 4 رمضان 1376 4 ابريل 1957 ٠ وعلى السـاعة الحادية عشرة ليلا اقتحم جماعة من الجند الفرنسى التابعين لفرق المظلات المتحكمين اليوم فى الجزائر سكنى فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ العربى التبسى ، الرئيس الثانى لجمعية العلماء والمباشر لتسيير شؤونها ، وأكبر الشخصيات الدينية الاسلامية بالجـزائر ٠ بعد أن حطموا بعض نوافذ الاقسام المدرسية الموجودة تحت الشقة التى يسكن بهـــا بحى بيلكور طريق التوت ، وذلك شأنهم فى اقتحام ديار المسلمين لا يأتونها غالبا من أبوابها ، وانما من السطوح والنوافذ ، لتتم حسب زعمهم المفاجأة ، أو ليشتد الارهاب والنكال ٠ ثم طرقوا باب الشقة ففتح لهم ، وكانوا يرتدون اللباس العسكرى الرسمى للجيش الفرنسى ، ومسلحين بالاسلحة التى يحاربون بهـا الشعب الجزائرى والمدنيين المسلمين ٠

وقد وجدوا فضيلة الشيخ فى فراش المرض الملازم له ، وقد اشتد عليه منذ أوائل شهر مارس 1957 واخذت نوباته تتـوالى عليه ـ عنيفة ـ مرات فى الاسبوع ، فيلم يراعوا حرمته الدينية ، ولا سنه العالية ولا مرضه الشديد وأزعجوه من فراش المرض بكل وحشية وفضاضة ، ثم أخذوا فى التفتيش الدقيـق للسكنى ، والملفات والكتب والرسائل بعد أن حجزوا العائلة وفصلوا عنه أبناءه وبناته واعتدوا بالضرب عـلى

أكبرهم لما حاول مساعدة والده المريض ، ثم أخذوا محفظته بما فيها ، ثـم اخرجوه حاسر الرأس ، حافى القدمين ، غـير متدثر بأى شيء الا لبسة المتفضل ولكنهم ارغموه على ارتداء (سروال) ولده الافرنجي ومعطفه وكلاهما لا يصلح له لباسا لصغره •

وقد كان من المحقق لدى العائلة انهم ذهبوا به للتحقيق معه ، وانما عومل هـذه المعاملة لانهم لم يشاؤوا أن يميزوه عن شعبه زيـادة فى النكال والاستفزاز ، وكان هذا شأنهم منـذ التحصيل عـلى التفويضات الخاصة فى مارس 1956 وخصوصا منـذ أن (حجرت) الجزائر الى القائدين لفرق المظلات (ماسو) و (بيجار) •

ولكن المفاجاة كانت تامة عندما سئل عنه فى اليوم الموالى والايام بعده فى الادارات الحكومية المدنية والعسكرية والشرطية والعدلية ، فتبرأت كل ادارة من وجوده عندها أو من مسؤوليتها عن اعتقاله ، أو من العلم بمكانه حتى وصل الى الادارة العليا بمفـر الوزير المقيم والوالى العام فتظاهرت بانكار العلم و (استنكار) الفعل ووعدت بالبحث•

وقد بقيت المسألة كذلك الى ان ارسل مكاتب جريدة (لومند) الباريسية بخبـر صغير نشر فى زاوية مهملة يعلن فيه ان رجال المظلات قد اعتقلوا الشيخ العربى التبسى وهو ـ عضو هام ـ فى جمعية العلماء ، وانه تحت ايديهم لاجل الاستنطاق والتحقيق وكان ذلك بعد يومين من اعتقاله ، واذا بشركة الصحافة الفرنسية ـ وهى رسمية تبادر بنشر بلاغ واذاعته على العالم تزعم فيه ان الشيخ العربى قد اختطف من طرف مجهولين وان وليه التجا الى الادارة العليا فبادرت بفتح بحث فى القضية انتج انـه اختطف من مجهولين ويشم من هذا البلاغ انها بريئة من القضية ، وانها ممن يشتكى اليه ، ويلتجأ الى حمايته وعونه •

وجمعية العلماء تذيع على العالم أجمع ان الحكومة الفرنسيـــة بادارتها المدنية والعسكرية مسؤولة مسؤولية كاملة فى قضية الشيخ العربى • وتخشى ان تكون قـد اغتالته يد العدوان أو مات تحت العذاب ، ولم يمكنها فى هذه المرة ان تدعى انه حاول الفرار ، أو افتكاك السلاح من يد الجنود فقتل ، كما لم يمكنها ان تدعى انه انتحر ـ كيف وهو مقيد اليدين والرجلين ـ بعد افتضاحها فى قضية الشهداء الابرار العربى ابن مهيدى ، وعلى بومنجل والشريف العمرانى فاخترعت هذه الدعوى الجديدة تنصلا

من المسؤولية ، وعدوان أعوانها • وتلاحظ الجمعية ان فضيلة الاستاذ العربى كان فى الزمن الاخير قبلة أنظارهم ومحط آمالهم لعلهم يجدون منه لينا أو (تفهما) يشجعهم على اتخاذه (المفاوض الصالح) للفت فى عضد الثورة وتشتيت شمل الشعب ، فما وجدوا فيه الا الصلابة والحزم ، والتضامن الكامل مع شعبه المكافح • وجيش التحرير المحارب وجبهة التحرير المناضلة فقد أرسلوا اليه فى شهر نوفمبر 56 مفاوضهم الخاسر م• كومان كاتب الحزب الاشتراكى المتولى الحكم فلم يفز منه بطائل ، وأبلغه ان المفاوض الوحيد هو جبهة وجيش التحرير أو من يعينونه لكم ، ومع ذلك فقد كتموا هذا الخبر واخفوا هذه المقابلة حتى قرب أوان المداولات فى القضية الجزائرية أمام منظمة الامم المتحدة ، واذا بهم يعلنون ـ فى أسلوب تساؤل أهناك مفاوضة ؟ ـ ان م • كومان قابل الشيخ العربى وتحادث معه فى القضية الجزائرية ثم علقوا على هذه المقابلة كما يحلو لهم دون أن تكون بيد الشيخ وسيلة لنشر أى ايضاح •

ثم أرسلوا اليه اثناء شهر جانفى 1957 مبعوث جريدة (لومند) البارسية ليحاول أخذ حديث منه ينشرونه من بعد • ثم يعلقون عليه بما يريدون فاعتذر له ، ورفض مقابلته ، ثم نشرت الجريدة نفسها حديثا طويلا لشيخ آخر كان ينتسب لجمعية العلماء واخرج منها منذ سنة 1938 فزعمت :

1 ـ ان هذا الشيخ من المؤسسين لجمعية العلماء المتكلمين باسم العلماء الى اليوم • الناطقين بلسانهم •

2 ـ ان هذا الشيخ يعتنق مذهب غاندى فى استنكار العنف والالتجاء اليه •

3 ـ ان العلماء ـ وقد خرجت هذا التعليق تخريجا ـ منذ ابتداء الثورة الجزائرية قد انقسموا فطائفة منهم انخرطت فى الجبهة وأيدت الثورة كالابراهيمى رئيسها ، والمدنى كاتبها العام ، وطائفة بقيت بالجزائر دون هذه المشاركة •

ولا شك ان هذه الجريدة أو الايدى التى حركتها للعمل ورسمت الخطة لمبعوثها كانت ستفعل هذا أو شبهه فى حديث فضيلة الشيخ العربى لتضليل الرأى العام الفرنسى ، وتخذيل الشعب الجزائرى لولا انه رفض المقابلة ورد المبعوث المسخر خاسرا •

وقد حاول في هذه الايام الاخيرة بعض رجال الحكومة الكبار في الادارة الجزائرية استدراج الشيخ لمقابلتهم . والتفاهم معه فلم يمكنهم من ذلك .

وآخر مكيدة دبرتها هذه الدوائر انها أرسلت ذنبا من اذنابها يوم الجمعة 27 شعبان 1376 الموافق 19 مارس 1957 م ، الى المسجد الجامع بحي بلكور فصعد المنبر دون طلب أحد وبحضور آلاف المصلين وفضيلة الشيخ ثم تلا الآية الكريمة **«انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم»** الآية . ثم شرع الخبيث يتهم رجال الثورة الابرار بما شهد العالم اجمع انهم بريئون منه وزعم ــ افكا ــ أنه طلب من الشيخ التدخل فجبن ولم يفعل ، ثم زعم انه متصل بالثوار وانه أتى منهم باوامر لينفذها الشيخ فأحجم وأبى ، واسترسل في الكذب والمتناقضات حتى أنزل عن المنبر ، وقد غضب الجمهور على هذا الخائن غضبا شديدا ولولا تدخل الشيخ لفتك به ومما لا شك فيه ان هذا الخائن المسخر كان يراد منه اثارة الشعور العام ضد الثورة وضد الشيخ وضد الجمعية ، كما أريد منه التمهيد لما أتى بعد الاختطاف فقد زعم بعض المسؤولين أولا ان الشيخ ربما اختطفه الارهاب المضاد . ثم زعموا في البلاغ انه اختطف من طرف مسؤولين مجهولين ثم صرحت الصحافة الاستعمارية ــ زاعمة افكا وزورا ــ ان الذين اختطفوه هم الارهابيون وبهذا تسمى رجال جيش التحرير .

ان جمعية العلماء تكذب كل تضليل في الموضوع وتعلن للرأى العام الاسلامي وللرأى العام الفرنسي وللرأى العام العالمي ان الادارة الفرنسية المدنية والعسكرية هي التي اعتقلته ، وان رجالها الرسميين هم الذين أخذوه ، وانها تتحمل مسؤوليتها كاملة . والامة الجزائرية تهيب بكل ذى ضمير حي في العالم وبالهيئات الامية ، والمنظمات الانسانية والمذاهب الدينية وبالعالم الاسلامي العربي ان يتدخل في الموضوع، وان يسألوا الحكومة الفرنسية في القضية ويجبروها على قبول بحث محايد اما بواسطة منظمة الامم المتحدة أو بواسطة رجال الصليب الاحمر الاممي من غير الفرنسيين أو بواسطة من يتفق عليه .

ان الامة الجزائرية تعتبر قضية فضيلة الشيخ العربى ـ وهو أكبر رجال الدين الاسلامى فى الجزائر ـ قضيتها الروحية وما قصدها الا اهانتها ، واذلالها ، والمبالغة فى استفزازها · وانها لتكذب تكذيبا قاطعا لكل دعوى تدعيها الحكومة الفرنسية من جنوحها للسلم العادل كما أوصت به منظمة الامم المتحدة وقبولها للحل السلمى وانما ننتظر هدوء الحالة بايقاف اطلاق النار وانما تتخذ كل الاجراءات للتوصــل لهذا الهدوء ، فهل اختطاف أكبر رجال الدين الاسلامى بالجزائر واهانته وتعذيبه والتنكيل به فى شهر الصيام ثم الذهاب به الى مصير مجهول مما يساعد على ذلك ؟

ان الامة الجزائرية لتعلم ان الحكومة الفرنسية ساعية بكل عزم وتصميم لافنـاء الشعب الجزائرى والانتهاء منه واحلال جموع الاوروبيين بتله ونجده وصحرائه وهى فى سبيل ذلك تدفع جيشها دفعا الى ارتكاب أفظع ما يتصوره العقل من أعمال القمع ، تقتيلا ، وتعذيبا ، وتحريقا ، وتحاول ما استطاعت ربح الوقت ، وتأخير الحل ·

ان الشعب الجزائرى المؤمن بحقه فى الحياة الحريص على كرامته ، المصمم على نيل حريته واستقلاله ليعلن للعالم أجمع انه سيواصل الكفاح ، ويداوم الجهاد والمقاومة الى النصر النهــائى ، ولن يثنيه سقوط أى كان من أبطاله فى الميدان مهمــا سمت منزلته ، ويعتقد أن الشهداء أفضل رجاله وأكرمهم عند الله ، وأبرهــم بوطنهــم وشعبهم ودينهم ، وسقوطهم فى ميدان الشرف كرامة لهم وهوان لاعدائهم ، ولــن يفت ذلك فى عضده أو يثنيه عن عزمه بل ما يزيده الا ثباتا وعزما وتصميما ، ولــن يوقف اطلاق النار الا بالاعتراف بالاستقلال ، ولن يوضع السلاح حتى يتحقق هذا الاستقلال ·

والله أكبر ، والمجد للعرب والنصر للجزائر
والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين

(2) كلمــة تذكير واستنهاض ولوم وعتاب

فى مساء يوم الخميس وليلة الجمعة 4 من رمضان 1377 الموافق 4 من ابريل 1957 انتهكت حرمة العقيدة الاسلامية بالجزائر · وأهين المسلمون اهانة بالغة ··· ونكــل بهما تنكيلا شنيعا ، ومثل بهما تمثيلا فظيعا ، واستخف بهما استخفافا لئيمــا ···

وذلك باهانة شيخ المسلمين بالجزائر وانتهاك حرمة بيته ودوس كتبه ومصاحفه والتمثيل به والاستخفاف بعائلته ·

لقد اقتحم الجند الفرنسى منزل فضيلة الاستاذ العربى التبسى الرئيس المباشر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومدير معهد عبد الحميد بن باديس اقتحاما · وانتزع من فراش مرضه انتزاعا · وعومل بغلظة وفظاظة وحيل بينه وبين أبنائه الصغار ونسائه · وأهين ابنه الكبير أمام عينيه اهانة ··· وبعثرت كتبه وديس بالاقدام أمام عينيه مصاحف القرآن وكتب الحديث والتفسير · وحجزت محفظته بما فيها من المستندات الهامة ومن مالية لا يعلم عددها ترجع اليه أو الى الجمعية التى هو مسؤول عنها · ثم ذهب به بعد هذه الشناعات الى مصير مجهول حاسر الراس حافى القدمين عارى البدن لا يكاد يستره شيء ، لم تراع فيه مكانته الدينية السامية ، ولا سنه العالية ـ وقد قارب السبعين ـ ولا حالة مرضه وقد ألح عليه ···

أكل هذا يقع ولا نكاد نرى اختلاجة واحدة فى جسم العالم الاسلامى ··· ولا نسمع صوتا يرفع للتشهير بهذا المنكر عدا صوت أو صوتين فاترين همس به أو بهما همسا واحتج به أو بهما احتجاجا حييا متواضعا ثم أعقب ذلك سكوت أبلغ من كل كلام ·

لقد أحست الدوائر الاستعمارية بفداحة الجريمة وشناعة هذا المنكر فأذنت لدعايتها أن تشيع حول (اختطاف) الشيخ اشاعات كاذبة ومفتريات نكراء ، وتطلق فى الجو (ضبابا) ساترا للتمويه والتضليل حتى يمكنها أن تحفظ خط الرجعة ، وتتنصل من الجريمة ··· ولكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وزملاء الشيخ فيها ـ المضروب على أيديهم والمحرومون من كل وسائل الكلام ـ استطاعوا أن يرفعوا اللبس ويزيلوا كل اشتباه بالبيان الصادر من الجمعية فى تحميل الحكومة الفرنسية كل المسؤولية ، ورفض كل تنصل منها ، وفضح كل تأويل أو تفسير ، وذلك لان أعوانها الرسميين وجنودها المجندين المحصلين على التفويضات الكاملة منها بلباسهم الرسمى وأسلحتهم ، وحيثيتهم ولغتهم وأسلوبهم الخاصين بهم أولئك الذين اقتحموا دار فضيلته وأهانوه وذهبوا به · ولولا ذلك لفضل أن يموت بفراشه على الذهاب معهم ولمات دونه كل من وجد معه من عائلته أو من قرب محله من داره من المسلمين ···

فكل تنصل من الحكومة الفرنسية مرفوض ، وكل تأويل مردود ، وكل تمويه أو تضليل مفضوح ٠

فما بال اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يسكتون عن هذه الهضيمة ويبتلعون هذه الاهانة الشنيعة ، وما قصد بها اهانة الشيخ شخصيا وانما أريد بها اهانة الاسلام والعقيدة الاسلامية والمسلمين فى شخصيته وما بال أشقائنا الاقربين وأصدقائنا الحميمين بتونس والمغرب تخفت أصواتهم وتتلجلج ألسنتهم وتنام ضمائرهم ونحن نعلم يقينا ان الشعب فى تونس كشعب الجزائر وشعب المغرب يغلى غليانا ويشتعل اشتعالا ٠٠٠ وهو على كمال الاهبة لحرق الغاصبين المعتدين ، وما بال زملائنا واخواننا علماء الزيتونة والقرويين والازهر وغيرهم من علماء الاسلام وهم حملة الشريعة وحماة الملة يصابون فى زميل لهم ويمس الاسلام فى أحدهم وتهان العقيدة فى أكبر ممثل لها فى قطر من أقطارها ثم هم مستمرون على سكوتهم سادرون فى غفلتهم متمسكون بعزلتهم ، مصرون على تواضعهم مستكينون الى خمودهم ٠ كأن الامر لا يعنيهم ولا يتصل بهم ولا ترتبط ماساته بادنى سبب من الاسباب مع مهمتهم وحيثيتهم ٠ أو كان الشيخ العربى أجنبى دخيل فى وسطهم غريب على مجتمعهم أو كأن قضية هذا الشعب ـ الشعب الجزائرى ـ وما يتصل به وبديانته وعقيدته ودمائه ورجاله اهون من ان يشتغلوا بها أو يعتنوا بمشاكلها أو تأخذ جزءا أدنى جزء من أوقاتهم الثمينة ٠٠ مع أن قضية الدين ورجاله قضيتهم وقضية انتهاك حرمات الاسلام والمسلمين من مهماتهم ومشمولات أنظارهم وكل ما يمس واحدا منهم من أجل حيثيته وصفته يمسهم ٠

أيها الاخوان ويا أيها الاشقاء ويا معشر الزملاء ما هكذا تهون العقيدة ، ويرخس رجالها وتنتهك حرماتها وتداس كتبها ومقدساتها عند الامم الاخرى أو الملل الاجنبية ثم لا يكون منهم الا الاستخذاء ، والخنوع والرضى والاستسلام ٠٠

لقد رأينا أيها الاخوان كيف اهتزت أركان العالم المسيحى اهتزازا وزلزلت الارض زلزالا يوم القت حكومة بولونيا الشعبية ـ وهى حكومة شرعية وليدة انتخابات شرعية ـ القبض على زعيم الديانة المسيحية ، ورئيس المذهب الكاثوليكى فى

بولونيا ، وتزلزلت الارض زلزالا ، وتكاد تخرج اثقالها ، يوم القت حكومة المجر أيضا القبض على زعيم آخر من زعماء المسيحية ، زعيم المذهب الكاثوليكى بها بنفس التهمة ، ولنفس الاسباب مع انها حكومة شرعية وليدة انتخابات شعبية ٠

لقد رأينا أيها الاخوان كيف قامت قيامة العالم المسيحى ـ عندئذ ـ وارتج ارتجاجا شديدا ، بكنائسه ومذاهبه وقساوسته وأحباره ورهبانه ، والب العالم أجمع والانسانية جمعاء تاليبا محكما ضد الحكومتين حكومة المجر وحكومة بولونيا ٠٠ حتى قامت قيامة الدنيا غضبا للكاردينالين الكاثوليكيين المعتقلين المسجونين ٠ فتظاهرت الشعـــوب ، واحتجت الحكومات ، وتدخل النواب فى مختلف الاوطان يستنطقون حكوماتهم أمام المجالس النيابية ، كان القضية قضيتهم ، واهتزت شركات الانباء تفصل أنباء الاعتقال والسجن والمحاكمة تفصيلا ، وكتبت الصحف والمجلات ، وابدع الكتاب تشنيعا وتهويلا ، ولقد حوكم الكردينالان المتهمان محاكمة ، وقامت ضدهما البينات ، وكافحهما الشهود واعترفا اعترافا ٠ فادينا ، واودعا السجن بمقتضى أحكام صادرة ٠ ومع كل ذلك فالدنيا التى قامت لم تقعد والحكومتان المعتقلتان للكاردينالين المحاكمتان لهما لم تطمئنا ولم تراحا وتستريحا الا بعد ان افرج عن الكاردينالين ـ رغم الاحكام الصادرة ـ واطلـق سراح كل منهما ٠٠ وارجعت له سائر حقوقه ، وحريته ٠ واننا لا نلوم العالم المسيحى على ما فعل بل نغبطه ، ولا نأسى لاحراز الكاردينالين على حريتهما ٠ بـــل نغتبط بها ولو قارنا بين القضيتين قضية الكاردينالين ، وقضية الشيخ العربى التبسى ، لوجدنا الفرق واضحا والاختلاف بينا لفائدة قضية الشيخ ولصالحه ٠٠

ففى قضية كل من الكاردينالين اعتقلتهما حكومتا بلاديهما الشرعيتان ، بتهم معينة كما يعتقل كل متهم ، والمتهم برىء حتى يدان ، وكل منهما قد حوكم أمام محكمة بلاده فقامت عليه البينة أو اعترف أو شهد عليه حقا ، أو زورا ـ كل ذلك لا يهمنا ـ فأدينا ، وكان اعتقالهما انسانيا ، واستنطاقهما قانونيا ، والحكم عليهما مستندا الى حيثيات ٠٠

اما الشيخ العربى التبسى فقد اعتقلته حكومة غير شرعية تعذب شعبه ، وتغتصب وطنه وتهين دينه اعتقالا مجرما ظالما ، لا يستند الى قانون ، ولا تبرره شريعة ، ثــم أهانوه اهانات بالغة ، فاعتدوا على كل حق قانونى أو شخصى أو انسانى ، وأهــانوا مقدساته ومقدسات المسلمين أمامــه بدوس المصاحف القرآنية ، وكتب الحــديث والتفسير • ثم انهم فعلوا كل ذلك وذهبوا به الى مصير مجهول فى حال تتبرأ منهــا الانسانية ، حاسر الراس حافى القدمين ، عارى الجسم ، لم يراعوا مكانته آلسامية ، ولا سنه العالية ولا مرضه الملح ••

يا عجبا ما بعده من عجب أفبعد كل هذا نــرى السكوت والتردد ، والتخاذل فى صفوف المسلمين ؟ والاستسلام (والرضى) من علماء الشريعة ؟

يا أصحاب الفضيلة حملة الشريعة وحماة الملة •• لقــد طالمــا رأيناكم تثورون وتغضبون فيقرأ لثورتكم ألف حساب ويرتعد لغضبكم اعتى العتاة ، أفــلا ترون ان قضية اليوم أهل لثورتكم وغضبكم ؟

ان فى الجزائر اليوم ــ ولا نتكلم عما سلف ــ مساجد جامعة ، ومساجد للصلوات الخمس محتلة بحثالة الانسانية وجذام البشرية من كل شريد وطريد وشاذ •• ياتون فيها الفاحشة ، ويشربون الخمور فى محاربها ، ويبولون ويتغوطون فى بيوت الصلاة منها ، وان فى الجزائر اليوم ــ ولا نتكلم عنها منذ 1830 مساجد جامعــة ومســاجد للصلوات قد نسفت بالمتفجرات ــ الديناميت ــ نسفا أو حطمت بفعل قنابل الطائرات والمدافع تحطيما ، واغتيل المصلون بها ــ وهم فى حالة الصلاة أو عند الخروج ــ اغتيالا وان فى الجزائر من رجال الديــن أئمــة ومدرسين ، وواعظــين مرشدين ، يوخذون فيسامون سوء العذاب ، ثم يقتلون صبرا ••

وهذا شيخ المسلمين بالجزائر وعالمهم يهان ويعذب ، وينكل به التنكيل الشنيع ، ثم يذهب به الى مصيرمجهول حتى اليوم ، ليت شعرى أيرى المسلمون ان السكوت بعد

كل هذا واشنع من هذا جائز مستساغ ؟ أو انهم لا يرون ذلك ولكنهم قد (ديثوا بالصغار) ·· انتهى

الجزائر 12 ماى 1957

حـاشية :

« يمكن القول أن أكثرية علماء الاسلام ومن فى حكمهم ·· فى العالم الاسلامى قد أصيبوا بضعف النفس ، الناتج عن ضعف الايمان · ووصفوا بوصف الجبـن ، الـذى لا يجتمع مع الايمان فى قلب رجل واحد · فلا غرابة ـ اذن ـ اذا رأيناهم لم يحركوا ساكنا فى قضية الاعتداء الفظيع على شهيد الجزائر واغتياله بصورة شنيعة ·· وان أصدق ما يصدق على علماء ديننا فى هذا العصر ـ الا من رحم ربك ـ هو قول الشاعر» :

« لقـد أسمعـت لـو ناديـت حيـا ولكن لا حيـاة لمـن تنـادى »

ع ـ م



نوفمبر

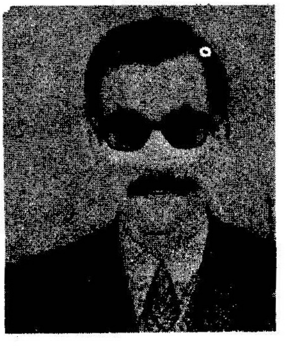
محمد الاخضر السائحي

كان وهما ، وكان حلما بعيدا   أن نناجيك يا نفمبر عيدا
وتعود الدموع فيك إبتساما   ويعود النشيج فيك نشيدا
قل « ليوليو » هنا « نفمبر » باق   خلد النصر مجده تخليدا
قد حفرنا اسمه على كل قلب   وجرى فى الدماء عزما أكيدا
وحبوناه ما حبانا اعتزازا   ومقاما مدى القرون حميدا
مسحت كفه الظلام وألقت   كل شر عن الطريق بعيدا
كم سهرنا مع الليالى نناجى   أملا طاف فى سناه جديدا
رف فى مقلتيه حلوا جميلا   ومشى فى القلوب مشيا وئيدا
فأرقنا له الدماء بحارا   وملأنا من الضحايا الصعيدا
وتلظى عنادنا فصرخنا   اننا سادة ولسنا عبيدا
وصبغنا الدموع فينا دماء   ثم صغنا القلوب فينا حديدا
ونسينا سكوتنا ورضانا   وعرفنا الوعود تعنى الوعيدا

ومشينـــا كما علمت صفوفـــا ... وحـد الصـدق رأينـــا توحيـدا
لا نبـــالى اذا سقطنـــا جميعـــا ... من يمـت فى الجهاد مـات شهيدا
وتمطى « أوراس » تيها وعجبـا ... فاذا سفحـــه يعـــج أســودا
تتنزى تحــت الحديد غضـــابا ... كاد « أوراس » تحتها أن يميــدا
ومشينـــا عـلى الصخور ولكـن ... فى سبيـــل الحياة كانـت ورودا
فاسأل الليـــل كم دخلنا دجـــاه ... ولبسنـــاه أدرعـــا وبـرودا ؟
وخرجنـــا مع الضيـــاء نغـنى ... لم نر الليـــل ـ أو يرانا ـ رقودا
ووقفنـــا عـلى الجبـال جبـالا ... وانتصبنـــا على الحدود حدودا
ومسحنـــا الدجى فما عاد ليل ... كـــل دار ظلامهـــا قـد أبيـــدا
لم يعد يسمـــع الدجى صوت باك ... أو يرى الصبح فى الطريق شريدا
أو يلف الظـــلام منا جســـوما ... أو تلـــم الاسمـــال منـــا جلودا
لم نعـــد نجمـــع الغـــلال ونمضى ... لا نرى للغــــلال فينا وجـــودا
ننصر العـدل أينمـــا كان ظـلـم ... لا نرى النـــاس سيدا ومســـودا

تحيا الجزائر

محمد نسيب



عرفت البطل الشهيد مدنى الطاهر ذلك الجندى المجهول الذى لم يبخل يوما بجهده وعرقه ولا بدمه وروحه ... من أجل أن تحيا الجزائر .

عرفته فى أول نوفمبر 1954 م عندما اندلعت ثورة التحرير وانفجر بركانها .

عرفته عندما حمل الفأس على كتفه والمنشار فى يده والمقص فى حزامه ليقطع الاسلاك التليفونية ويخرب الطريق ويحطم الجسر لكى يتعطل الجيش الفرنسى فلا يصل الى الميدان حتى تنتهى عملية المجاهدين وينسحبوا الى مواقعهم فى الجبال ، حيث المخابىء والحصون .

لا ترى مدنى الا حاملا الزاد والذخيرة للمجاهدين متنقلا بين القرى والجبال لا تكاد تراه فى مكان حتى تجده فى مكان آخر . عمل متواصل ليلا ونهارا لا يوقفه الظلام ولا يثنيه القر ولا يمنعه العدو المترصد له فى كل مكان ، عمل متواصل لا يعرف السكون ولا العجز ولا العياء .

تراه يقظا فى كل لحظة يترصد الاعداء ويتابع تحركات الجيش الفرنسى ويراقب الخونة الذين يعملون ضد الثورة ويتجسسون على المجاهدين، فكان ينقل الاخبار الى المجاهدين بسرعة مدهشة رغم الحصار والعيون المنبثة فى كل مكان ، وكان نقمة على هؤلاء الخونة الانذال الذين رفضوا حياة العزة والحرية واختاروا حياة الذل والمهانة وفضلوا البقاء فى ظل اسيادهم المستعمرين ، فراحوا يعرقلون الثورة ويكيدون لهـا كيـدا ويسددون لهـا الضربات ، ويتاجرون بأخوانهم ويبيعون مواطنيهم وينتقمون من أحرارهم لكى يمدحهم العـدو ويزين صدورهم بأوسمة الخزى والعـار والخيانة ويكافئهم بالخبز المعجون بدماء ابطالهم ودموع اراملهم وايتامهم وكم من مرة حاولوا ايقاع مدنى فى الفخ ، ولكن مدنى كان واعيا متيقظا يعرف كل مـا يجرى فى الناحية فلا تخفى عليه خافية ، وكان أيضا دليلا ماهرا يرافق فرق جيش التحرير الوطنى لانه يعرف كل المسالك والمخابىء ، ودرس تلك الجبال الوعرة شبرا شبرا تراه دائما فى مقدمة الجيش ، فلا يسلك طريقا حتى يفحصه فحصا ، يتحدى الشدائد ويذلل العقبات ويقتحم الاخطار المحدقة به فلا يبالى بحياته ولا يفكر بشخصه ولا فى أهـله كما كان يفكر فى تحرير وطنه من مخالب الاستعمار الذى يسومه خسفا وهوانا ويذيقه انواعا وألوانا من الظلم والحرمان والقهر والاضطهاد ٠

فاذا نظرت اليه رأيت العزم يتقد فى عينيه وعلامة الصدق والوفاء مرسومتان على محياه والحياة تتدفق فى أعماقه والامل مشرق فى جبينه والابتسامة تبدو على ثغـره وكلما لقاك استوقفك وبادرك بهذه الكلمة العذبة التى يرددها فى كل لحظة :

« تحيا الجزائر » فان اردت أن ترضيه ويرضى عنك فقل تحيى الجزائر كلما لقيته لانها أمله الوحيد وضالته المنشودة ٠

وها هو مدنى يعود من العملية بعد أن خرب الطريق وقطع أسلاك التليفون وأضرم النار فى احدى مزارع المعمر ، وهو يلهث من شدة العياء والعرق يتصبب على جبينه ، فاذا ببعض الجبناء يتعرضون له فى الطريق يجرى بينهم وبينه هذا الحوار :

الجبناء : انك تسبب لنا الخراب والدمار يا مدنى وتدفعنا نحن وابنائنا وعائلتنا الى النار ٠ فاذا لم تتوقف عن هذه الاعمال المخربة وتكف عن هذا التشويش فان القرية تحرق وتقنبل ، وقد اعلمنا القائد بهذا صبيحة اليوم ٠

وبناء على هذا فنحن نرجو منـك أن تكف عن هذه الاعمال حتى لا تشـوه سمعتنا وسمعة القرية ، لقد شوهت سمعتها فعلا ، هذه القرية التى لا تذكر هى وأهلها الا بالخير فأصبحت اليوم قرية (الفلاقة) قرية المشوشين والعصاة والمتمردين الخارجين عـن القانــون ٠

ولم يكد مدنى الطاهر الذى تغلى فى جسمه دماء وطنية حارة يسمع هذه الكلمة حتى هاج وثار، اجابهم بلهجة عنيفة تخالطها المرارة وقال لهم ما معناه

ان هذه النعوت والاوصاف التى تنعت بهـــا قريتنا كلها شرف لنا وفخر لقريتنا ومجد لبلادنا ووسام البطولة فى صدورنا لاننا نخوض معركة عقيدة وقيم ومبادىء ٠

ان هذه الالقاب التى تخشونها وتشمئزون منها هى التى تصحح تاريخنا وتثبت وجودنا وتعيـد لهذا الشعب كرامته وحريته واستقلاله وثرواته المنهـوبة وشخصيته المسلوبة ، ولغته المنسية ٠

اننا اليوم ملـك للثـورة ، للاجيال ، للتاريخ ، لا لانفسنا ولا لاهلينا ولا لقريتنا الصغيرة ، بل لوطننا الكبير ولكل المضطهدين والمعذبين مثلنا فوق هذه الارض ٠

ألا تريدون أن تسجلوا أسماءكم على صفحات التاريخ وتكتبوا بدمائكم وترسموا طريقا للاجيال المقبلة ؟ ألا تحبون أن تحملوا مشعل الحرية فوق قمم هذه الجبال الشامخة جبال الجهاد جبال الاحرار والابطال، أم تفضلون العبودية على الحرية ؟ والطاعة والانقياد على التمرد والعصيان لانكم تخشون غياهب السجن ، فالسجن أرحم وأفضل من الحيـاة التى أنتم فيها وتفرون من الموت ، والموت ملاقيكم فخير لكم أن تموتوا رجالا أبطالا فى ساعة المجد والفخار فى مواجهة العدو وجها لوجه خير لكم من أن تحترقوا فى أكواخكم الحقيرة وتموتوا تحت الردم كالارانب فتبقوا منسيين فلا التاريخ يذكركم ولا الاجيال تـرحمكـم ٠

الجبناء : نحن نخشى على قريتنا ان يصيبها الأذى من هؤلاء المشوشين اذا دخلوها فيسببوا لنا البلاء والشقاء ٠

مدنى : ليسوا مشوشين انهم مجاهدون مناضلون ثائرون وهم اخوانكم وابناؤكم ٠

انهم طلاب الحرية والعزة والكرامة ، لقد وهبوا ارواحهم واموالهم ودماءهم لهذا الوطن انهم يعملون ليل نهار من أجل تحريره من قبضة الاستعمار وتحطيم أركانه واطاحة دولته الجائرة وتحرير رقابكم انتم أيضا من حباله الغليظة التى تحز فى رقابكم ويزيحون الستار عن أبصاركم لتروا الوجود الحقيقى وتفتحوا عيونكم على جمال الحياة وتستنشقوا نسيم الحرية الذى حرمتم منه وحجب عنكم منذ نزول جيش الاحتلال الفرنسى فى سيدى فرج الى اليوم ، ويعود الشباب الى اجسامكم الهرمة وتجرى الدماء الغاضبة فى عروقكم وتنفجر ينابيع الامال فى قلوبكم وتدب الحركة فى اعضائكم المشلولة وتنطلق السنتكم الخرساء لتعبر عن احساسكم وشعوركم وآلامكم ، وآمالكم ، وتصرخون فى وجه الاقطاعية المجرمة التى حصرتكم فى هذه الاحراش وفرضت عليكم الاقامة الجبرية فى ظلمات هذه الكهوف الموحشة فيها ولدتم وفيها تذبل زهرة شبابكم فى صمت ، وفيها تموتون وتدفنون ٠

ثوروا على الذين انكروا وجودكم ، وشوهوا شخصيتكم وجحدوا تاريخكم وداسوا مبادئكم وحاربوا لغتكم وأعلنوا عن موتكم وفنائكم وملأوا الدنيا صياحا وادعاء أن الجزائر (فرنسية) فان رضيتم وسكتم ستلعنكم الاجداد وتزدريكم الاجناس ، فالثورة وحدها هى التى تعبر عن وجودكم وتعلن للعالم اجمع انكم أحياء لن تموتوا قبل تحرير بلادكم واثبات شخصيتكم وفرض وجودكم واسترجاع حقوقكم واجتثاث جذور المستعمرين من بلادكم فيرحل آخر جندى عن قارتنا السمراء ٠

الجبناء : ان فرنسا دولة قوية لا نقوى على حربها وهى قادرة على حرقنا وافنائنا ، ألم تسمع تصريح (لاكوست) الذى قال : اننا سنقضى على هؤلاء الفلاقة فى ربع ساعة اذا لم يسلموا أنفسهم ٠

ألم تسمع الى الاذاعة ؟ ألم تقرأ الصحف اليومية ؟ كم قتلوا وكم سجنوا وكم من حكم عليهم بالاعدام شنقا ، وكم من ثائر يسلم نفسه كل يـوم الى السلطات الفرنسية نادما على ما اقترف من اثم وذنب مدنى . اشتد غضبه وثار فى وجوههم حاقدا ساخطا على السياسة الاستعمارية الثعلبية ، سياسة المكر والخداع محذرا لهم من هذه الحرب النفسانية الخطيرة التى تحطم العزائم وتدمر النفوس وتضلل العقول وتنشر الرعب والفزع فى قلوب الضعفاء قائلا لهم : لا . لا تصدقوا اذاعتهم ولا أقوالهم ولا جرائدهم انها أخبار كاذبة مزيفة . أنبـــاء الخداع ، أنباء التخدير والتنويم ، أنبـــاء العجز والاستسلام ، نحن لن نستسلم أبدا ولن نخشى أى قوة سنصمد فى وجه العدو صمود هذه الجبال فى وجه الزمان .

الجبناء : أليس من الحمق والجنون ان تغامروا بأنفسكم وتقامروا بأهلكم وتلقوا بهذا الشعب فى جحيـم لا يطـاق ؟ الا تفكرون فى العواقب الوخيمة والعذاب الـذى ينتظركم والمشانق المعدة لشنقكم فى كل مكان . تزعمون انكم أقوياء تحاربون فرنسا وتخرجونها من الجزائر بل من افريقيا . لا تنخدعوا بهذه الاحـلام المغرية والسراب اللامع ... كيف تستطيعون الوقوف فى وجه دولة من الدول العظمى وتقاومون جيشها الجبار المـزود بالاسلحة العصرية الجهنمية مـن طائرات وصواريخ ودبابات ومـدافع ومدرعات وتجابهون هذه القوة المتفوقة ، بأسلحتكم العتيقة « بنادق الصيد » بنـادق العصافير بل لعب الاطفال . وفوق هذا معهـم الحلف الاطلسى الذى يؤيدهم ويدعمهم ماديا وسياسيا ...

مدنى : الله معنا ، ان ارادة الشعوب لا تقهر فارادة الشعب أمضى وأخطر من أى سلاح ، انها أعظم وأفخم من أى جيش . انها اعنف واصلب من أى مادة ، انها صخـرة تتحطم عليها معاول الهدم والتخريب .

اذا لـم نملك الجيش والمـال والسلاح فالحمد للـــه اننا نملك الايمان والعقيدة والارادة التى تدك الجبال وتفتت الصخور . لو وقف العالم كله ضد هذا الشعب لمـا تراجع عن موقفه ولا سكت عن حقه ولا وقف عن زحفه حتى يحقق آماله وينال مطالبه ويفرض وجوده أو يزول من الوجود ، اما الوجود واما اللاوجود .

الجبناء : كم من ثورة قامت فى الجزائر وكم من زعماء قادوا الحملات ونادوا بتحرير البلاد ، وكم من بطل تمرد وثار فى الصحارى والجبال ، ولم نجن سوى الجروح والدموع والنفى والتشريد والجوع والحرمان ، والبؤس والشقاء ، وملء السجون وشنق الشبان وكثرة الارامل والايتام ، وحرق القرى وهدم الخيام منذ 1830 م ، والجزائر لم تعرف الهدوء والاستقرار ، ونحن وقود الثورات وضحايا الارهاب والتعذيب والقتل الجماعى الا تخشى الله يا مدنى ان تلقى بهذه القرية وأهلها بين أيدى هؤلاء الجزارين القساة الذين لا يرحمون ولا يشفقون .

مدنى : فالموت أحلى وأعذب وأرحم وأشفق من هذه الحياة التى تحبونها ، فالثورة لن تقف ونحن لن نتراجع مهما كانت التكاليف والتضحيات سنواصل القتال ولو بالحجارة والايادى والاظافر والاسنان .

الجبناء : أليس من العيب ان نخسر مرة أخرى وتتكرر هزائمنا وتتجدد ماسينا وتدمى جروحنا ، فلا أحد يضمدها ويشد أزرنا .

مدنى : ليس العيب فى أن نخسر معركة ، ولكن العيب فى الفشل والاستسلام والطاعة والانقياد للعدو ، فى الحياة نجاح واخفاق ، انتصار وانكسار ، علو وانخفاض ، شروق وافول ، طلوع ونزول ، حلاوة العسل ومرارة الحنضل .

ان الشعب الجزائرى لم يفقد يوما آماله فى النصر ولم ييأس من استرجاع سيادته وحريته ، ما دام فيه عرق ينبض بالحياة وقلب يخفق بالحب رغم الهزائم المتعددة والمتكررة ، فهو يرنو للحياة ويتطلع للافق البعيد ، ويحاول الخلاص وتحطيم الاغلال فى كل لحظة فلا يدع الفرص تمر دون أن يعلن عن وجوده ويصرخ فى وجه الاعداء ، لم يذعن ولم يستسلم استسلام المغلوب للغالب هذا هو سر النجاح وعظمة الشعب الجزائرى انه لم يقهر ولم يطأطىء رأسه لاحد ، ولم ينحن أمام الاعداء مهما تجبروا ، بل وقف أمامهم مرفوع الرأس عالى الصدر انه رمز البطولة والصمود ، لقد تجسدت فيه معانى التضحية والفداء ورسمت على ملامحه مخائل النبل والوفاء وتمثلت فيه ارادة الحياة .

الجبناء : نحن نريد فقط أن تسلم قريتنا من التدمير والتخريب ...

مدنى : اتضحون بوطنكم الكبير وتتخلون عنه من أجل الاحتفاظ بقريتكم الصغيرة التى هى جزء لا يتجزأ من هذا الوطن الشاسع المترامى الاطراف ؟ فلا سعادة لكم الا بسعادته ولا عزة لكم الا بعزته ولا قوة لكم الا بقوته ولا حياة لكم الا بحياته ولا نجاة لكم الا بنجاته هل يصح للانسان المفكر العاقل ان يضحى بجسمه كله من أجل الاحتفاظ باصبعه ؟ لا تتمثل روعة الحياة وجمالها فى هذا الجسم الا بالتكامل والتناسق والانسجام بين الاعضاء كلها فلا يمكن ان نفرق ونفصل بين عضو وآخر . وكذلك بالنسبة للوطن ـ فالوطن بمدنه وقراه ، بجباله وصحرائه ، بوديانه وشعابه ، بسهوله وهضابه .

الجبناء : نحن نريد الحياة ونحب الحرية ونطالب بحقوقنا ، ولكن بالسياسة لا بالحرب لان الحرب لا نستطيعها .

مدنى : انكم تطلبون المستحيل وتهرعون خلف السراب ، الحرية تؤخذ ولا تعطى تنزع ولا تمنح ولا تهدى .. فاليد التى يؤلمها وخز الاشواك لا تقطف الورود ، والذى يخشى لدغ النحل يحرم من حلاوة العسل طول العمر .

الجبناء : ولكن نخشى الهزائم التى تلاحقنا فى كل مرة والعذاب الذى ينصب علينا فى كل ثورة ولا تزال تلك الصور البشعة الرهيبة صور التقتيل والتنكيل وشنق ابناء القرية تتمثل أمام عيوننا فى كل لحظة . لم تفارقنا منذ طفولتنا ، انها أول منظر فتحنا عليه عيوننا وأول صورة طبعت فى اذهاننا .

مدنى : لا نسميها الهزائم بل نسميها دروس الحياة ، انها صفعات الدهر أيقظت ضمائرنا وصقلت عقولنا وكشفت عن أمراضنا وعرفتنا بدائنا وعلمتنا ان المنتصر لابد يوما أن يذوق مرارة الانهزام ويكوى بنار الانكسار حتى يعرف قيمة النصر فالفارس الذى يخشى السقوط لا يكون فارسا ـ فالسقوط هو الذى يعلمه الثبات على صهوة الجواد ان الثورات التى انهزمنا فيها لم تعد أسبابها الى الضعف والجبن وقلة المال والسلاح والبشر ، فالشعب الجزائرى كجميع الشعوب العربية لم تنقصه القوة

والاستعداد والشجاعة والحماس والعزم والصلابة ، وتتجسد فيه روح النضالية والتضحية ، ولكن نقصه الوعى السياسى في جميع الثورات التى خاض أبطالنا غمارها واقتحموا لهيبها وفجروا بركانها لم يدعمها الوعى السياسى الذى يعتبر العمود الفقرى لكل ثورة ومحركها الوحيد ، فكانت طاقات الجماهير الشعبية تمتصها العاطفة وحماسها المتأجج يحترق ويتبخر هنا وهناك . فلا اعداد ولا تخطيط ولا تنسيق بين القادة والزعماء ، فكل منهم يريد أن يكون بطل الثورة وحده ، فكانت الثورات جهوية اقليمية قبلية ، فأصبح كل اقليم مستقل عن الآخر هذا يحارب والآخر يتفرج وينتظر العدو حتى يصل اليه ، بهذه التفرقة والتجزئة استطاعت فرنسا ان تضرب كل الثورات وتقضى عليها فى مهدها ، لو قام الشعب دفعة واحدة والتحمت صفوفه وانسجمت أعماله لما استطاعت فرنسا أن تتقدم خطوة واحدة ولا احتلت شبرا واحدا من بلادنا ان فكرة قريتى وعشيرتى ومدينتى وعرشى وقصرى هم سبب محنتنا التى أوقعتنا جميعا فى هذه الهوة السحيقة وها هى الاجيال تدفع ثمن الغفلة والسذاجة ان الذين رفضوا التعاون والاتحاد والوحدة والدفاع المشترك وفضلوا الانكماش والانزواء فى قصورهم والانطواء على أنفسهم ، فكان حكام الشعوب العربية والاسلامية فى افريقيا وآسيا يتنزهون ويتفرجون والجزائر فى شدة ومحنة غارقة فى الدماء معرضة للخراب والدمار والفناء ٠٠٠ وهم ينظرون ساكتين صامتين جامدين . ماتت فيهم الغيرة والانفة ، وانتزعت منهم المروءة والرجولة ٠٠ والشهامة . ففقدوا الشعور الانسانى والوعى الوطنى ، والاحساس الاخوى ، وقطعوا صلة الرحم ٠ وعلاقة الجوار ، والتزموا السكوت والسكون ، ولم يتكلموا ، ولم يتحركوا ٠٠ ظنا ان عروشهم ستبقى على حالها لا تتزلزل وكراسيهم لا تتحطم ولا تلتهمها النيران وملكهم لا يتزحزح ولا تتعرض للخراب والزوال وتيجانهم لا تنزع اذا سكتوا عن جرائم الاستعمار . والتزموا الحياد وقعدوا عن نصرة اخوانهم فى الجزائر وامتنعوا على اعانتهم ومساعدتهم والتضامن معهم ٠

فانخدعوا وانساقوا وراء الشهوات والملذات وغرتهم الالقاب فباعوا أوطانهم وشعوبهم لكى يظفر كل واحد منهم بلقب السلطان أو الملك أو الامير ٠٠٠ على حساب شعوبهم الساذجة المضطهدة المستبدة والجماهير الكادحة الشقية ، والانسانية المعذبة ٠

ان رنين الدولار قد سد آذانهم فلا يسمعون نداء الوطن وبكاء الجياع وانين الجرحى وصراخ المستغيثين وعويل الثكلى والمتشردين الحفاة العراة فى أقصى الفيافى وأعالى لجبال .

فليعلم كل عربى وكل مسلم وكل افريقى ان احتلال الجزائر هو احتلال لمصر وسوريا والعراق والحجاز وليبيا وتونس والمغرب وقارة افريقيا .

ان احتلال الجزائر هو احتلال افريقيا واستعمارها استعمار الوطن العربى كله ان الاعتداء على الجزائر اعتداء على الأمة العربية كلها ألا يعلمون أن الدفاع عن الجزائر هو دفاع عن أوطانهم وضمان استقلالهم ، ان سكوت العرب والمسلمين عن اغتصاب شبر واحد من الاراضى العربية الاسلامية ، يعد خيانة وجريمة لا تغتفر ، فالسكوت معناه القبول والرضى والاستسلام .

لقد تناست الشعوب العربية والاسلامية والافريقية أن الوحدة والتعاون والتحالف والدفاع المشترك أعظم قوة وأخطر سلاح يشهر فى وجه الغزاة والطغاة الذين يحاولون ابتلاع الشعوب الضعيفة ، ولكن شعوبنا الغافلة لم تتفطن ولم تستعمل هذا السلاح لان الوعى السياسى مفقود عندها . وانتبه الاستعمار الغربى واكتشف هذا الفراغ السياسى الهائل فعلم أن هذه الشعوب لا تزال فى غفوتها وسذاجتها واستغل أبشع استغلال ، وقام بعملية التفرقة والتجزئة منطلقا من مبدأ فرق تَسُدْ .

وتسابقت الدول الغربية الاستعمارية « فرنسا ، وانكلترا ، وايطاليا ، واسبانيا ، وهولندا ، وبلجيكا ، حتى الصهاينة شذاذ الآفاق الى احتلال وتقسيم البلدان العربية والاسلامية فى افريقيا وآسيا وكل دولة غربية لها حق ونصيب فى هذه الغنيمة المسوقة اليهم لقد اتفقوا واجتمعوا على تقسيمنا وتشتيتنا واستعبادنا واحتلالنا واذلالنا وتشريدنا والقضاء على وجودنا وابتلاع شعوبنا ونحن لم نتحد ولم نجتمع ولم نتفق على تحرير نفوسنا وتحطيم اغلالنا والدفاع عن حقنا وانقاذ وطننا اذا أردتم ان تحافظوا على وطنكم وتدافعوا عنه فاحموه تُحمَ قريتكم ، ارفعوه تُرْفعْ قريتكم ، انقذوه تنقذ قريتكم .

الا تذكرون الحرب العالمية الثانية عندما هاجمت ألمانيا فرنسا واحتلتها واحتلت أيضا جزءا من أوروبا وامتدت أطماع هتلر وطغى جنونه وحاول ابتلاع العالم فى بضع ساعات ، فاذا أمريكا تشعر بالخطر ويساورها الخوف والقلق فتسرع الى الميـــدان وتعلن الحرب على ألمانيا وتتفق مع فرنسا وبريطانيا وتتحد الدول الكبرى وتتعـاون على تحرير فرنسا والوقوف فى وجه ألمانيا وضرب قوتها وشل حركتها وتمزيق جيوشها وتشتيت وحدتها وطردها من أوروبا وتحرير شعوبها ٠

اتصدقون ان أمريكا تحب فرنسا وتدافع عنها وتحمى استقلالها وتنفق مليارات من الدولارات وتخسر أطنانا من السلاح وتضحى بآلاف من جنودها من أجل تحرير فرنسا وفك الحصار عن أوروبا ؟ كلا ، ان الولايات المتحدة تدافع عن نفسها وعن بلادهـــا وحماية استقلالها واقتصادها ومصالحها ، لان احتلال ألمانيا لفرنسا كان يهدد وجود أمريكا بالفناء والزوال لقد شل اقتصاده والقى عليه الخناق وسينزع عنـه القـــوة والسلطة والنفوذ ٠

ان أمريكا لم تدافع عن فرنسا ولا عن أوروبا ولا عن الضعفاء المضطهدين ولا عـن الحرية ولا عن العدالة ولا عن الانسانية المعذبة وبريطانيا أيضا نفس الامر ٠

لولا الاتحاد بين الدول الكبرى والدفاع المشترك والتعاون على هذا المارد الجبـار لاحتلهم جميعا كما احتل فرنسا فى بضعة أيام فألمانيا الغازية الطاغية وجدت نفسها مقهورة ومحصورة أمام هذا التجمع الذى وقف لها بالمرصاد ، وأحاط بها من كل جهة ، وما على ألمانيا الا أن تخضع وتستسلم للقوة المتجمعة ضدها ٠

فليعلم كل الضعفاء والمتفرقين والمغلوبين فى العالم ان فى الاتحاد قوة وفى التخاذل ضعف وما من أمة أخذت مكانها تحت الشمس الا كان أفرادها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا هذا هو سر القوة والنجاح وهذا هو الوعي السياسى الموجود عند هؤلاء الاقوياء ، والمفقود عندنا نحن الضعفاء لقد اجتمع هؤلاء على الباطل وافترقنا نحن على الحق ٠

أما انتم يا حماة القرية فاطردوا عنكم هذه الافكار السوداء والاشباح المخيفة التى تعبث بعقولكم وتثير فى قلوبكم الرعب والفزع حتى استوطن الخوف فى صدوركم وعشش فى أمخاخكم وتصورتم كل ذبابة طائرة وتخيلتم كل نملة دبابة فهذه التصورات هى التى قادتكم الى المذلة والمهانة فصرتم تخافون من كل شيء والخوف امسى فيكم داء عضالا فثبط عزائمكم وشل ارادتكم وقتل طموحكم وعطل مواهبكم وخنق عبقريتكم وحرمتم من قطف ثمار هذا العقل الذى وهبه الله لكم كجميع البشر لقد طمس نور الآمال فى أفقكم فلم تعودوا ترون الا الظلام الدامس ، وتبدو لكم من خلاله صور مشوؤمة مشوهة مخيفة تتراقص أمام عيونكم تجعلكم فريسة لليأس والقنوط لا تيأسوا ولا تقنطوا فالايام تنقلب والزمان يتغير ويتحول لا تقبروا أنفسكم وتنزووا فى زوايا الاهمال والنسيان وتنطووا على أنفسكم وتقضوا على روعة الحياة وجمالها اطلبوا الحياة وانشدوا الحرية وانزلوا الى الميدان فالمواهب لا تتفتح الا فى جو الحرية والعبقرية لا تنمو براعمها ولا تتفتق أزهارها الا فى الميدان انزلوا الى الميدان تجدون الحياة غير الحياة التى الفتموها .

الجبناء : انبعثت فيهم الحياة وغلب دماؤهم وصرخت فى عروقهم وصاحوا جميعا فى صوت واحد نحن معك يا مدنى حتى الموت دلنا على المجاهدين من هنا ننطلق لا نريد العودة الى بيوتنا .

مدنى : لستم معى أيها الاخوة بل مع الوطن انتم وأنا وكل ما فى القرية نحن جميعا للوطن لان الوطن باق ونحن زائلون ، نحن رابحون لن نخسر أبدا لاننا شهداء الاسلام والمبادىء والحرية من مات منا مات شهيدا ومن عاش عاش حرا كريما .

الابطال : نعم أبطال ليسوا جبناء كما كانوا بالامس لقد تخلوا عن ذلك اللقب الملعون الحقير انها القاب مزيفة لن يرضى بها أبناء الجزائر فالثورة ستصنع منهم قادة وابطالا عظماء عباقرة .

سألوا مدنى من هو قائد الثورة ؟

مدني : انتم قادتها نحن جميعا مسؤولون عنها انها ثورة شعبية فالشعب قائدها وبطلها وزعيمها انها ثورة شعبية لم تكن فردية ولا طبقية ولا جهوية ولا اقليمية بل ليس لها آفاق ولا حدود انها تزحف فى كل مكان ويتفجر بركانها فى كل موطن ويتأجج لهيبها فى صدور المظلومين والمضطهدين والمستعبدين والمعذبين فى الارض فى شرقها وغربها فى شمالها وجنوبها ٠

انها ثورة تحريرية من العبودية والاستغلالية والطبقية والعنصرية والتعسفية والاستبدادية والطغيانية والاقطاعية المجرمة التى أغرقت البلاد فى أوحال الشر والفساد والقتها فى جحيم البؤس والشقاء ٠

انها ثورة قائمة على مبادىء الاسلام والاسلام دين الحرية والعدل والمساواة والانسانية ٠

وليشهد التاريخ ولتعلم الاجيال ان ثورتنا أعلنت باسم الله وقامت باسم الجهاد وانطلقت بكلمة الله أكبر لا اله الا الله ٠

انها صرخة الايمان فى وجه الكفر والالحاد ٠

انها صرخة الحق فى وجه الظلم والعدوان ٠

انها صرخة العدل فى وجه الطغيان والاستبداد ٠

انها صرخة الحرية فى وجه العبودية ٠

انها صرخة الضعفاء المظلومين فى وجه الاقوياء المعتدين الطامعين فى خبز الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام ٠

انها صرخة المدفونين وهم أحياء ـ المدفونين فى الكهوف والشعاب وفى المغاور والاكواخ ليعلنوا للعالم أجمع انهم أحياء لن يموتوا قبل تحطيم القيود وبعث الجزائر الى الوجود واستئصال جذور الاستعمار وتقويض بنيانه فى كل مكان ٠

لن يموتوا قبل اثبات وجودهم وفرض شخصيتهم وكتابة تاريخهم بحروف من لهب وتسجيل أسمائهم بدمائهم على صفحات الوجود وصية للاجيال الآتية ٠

وهكذا وجدت كلمات الشهيد الواضحة الصريحة الهادفة قلوبا مفتحة وآذانا مرهفة ومشاعر طيبة ففعلت فيها فعلها فصنعت منهم أبطالا وشهداء .

ولقد اقنع عقولهم وأحيا ضمائرهم ونشط عزائمهم وحرك ساكنهم وألهب حماسهم فصاحوا جميعا : نعاهدكم أيها الشهداء سنواصل الجهاد ونقاتل حتى آخر قطرة من دمائنـــا .

فانضموا الى صفوف المجاهدين وبدأوا يخوضون المعارك الحامية ضد الاستعمار الفرنسي ويسددون له الضربات فى كل مكان ويقاومون جيشه المتوحش المنتشر فى القرى والمدن وفى الجبال والسهول وهم يقاتلون بقوة وشجاعة .

فالثورة تقوى يوما بعد يوم وهم من معركة الى أخرى ، وفى احدى المعارك التى وقعت فى ناحية ارميلة قرب حلوان استشهد رفاق مدنى جميعا بعد القتال العنيف والدفاع المستميت . لقد حوصروا من جميع الجهات وتعرضوا لهجوم الطيران فاشتعلت النار فى كل شبر ورغم ذلك ثبتوا فى المعركة وصمدوا فى وجه العدو الشرس وقاتلوا حتى آخر قطرة من دمائهم كما قالوا ، اما مدنى لقد أصيب بجروح عديدة فسقط بين أيدى الفرنسيين وحملوه الى احدى مراكز الجيش الفرنسى الكائن فى آيت اسماعيل لكى يستعملونه وسيلة من وسائل الاعلام والاشهار ولكى يعلنوا عن قوتهم ويبرهنوا للشعب بأنهم أقوياء قادرون على ضرب الثورة واخماد بركانها والقبض على المجاهدين ولكى يثيروا الرعـب والفـزع فى قـلوب المواطنين بهذه الاعمال الوحشية الدنيئة اللاانسانية ، وجمعوا أهل القرية الى الساحة العامة مع جميع القرى المجاورة ليشاهدوا مجاهدا أسر فى المعركة ويعذبونه أمام المـلأ حتى يتظاهروا بالعنف والقسوة ويثيروا الخوف والفزع فى صدور هؤلاء العزل ، ويستنطقون البطل الشهيد حتى يقول لهم الأسرار أين يأكل ويشرب وينام ؟ وفى الاخير يعترف بفرنسا أمام الجماهير ويسب المجاهدين ويذكرهم بالسوء وينادى تحيا فرنسا ، وذلك بالتهديد والسياط وبوسائل الطمع والاغراء . ولكن خابت آمال الجلادين وتحطمت معاولهم فوق تلك الصخرة الصلبة، وعندما احتشدت الجماهير الشعبية فى ساحة القرية رأوا مدنى البطل الشهيد موثوق

الايدى معفرا بالتراب ملطخا بالدماء وهو ينادى فى كل مرة طالبا شربــة ماء ... فاحتشدت الجموع حوله وساد صمت رهيب ، وجوه كالحة وعيون دامعة وقلوب دامية .

لقد وقفوا أمام هذا المنظر الكئيب كالتماثيل جامدين واجمين لا كلمة ولا حركة ، فلم يعودوا يستطيعون التعبير عن غضبهم وسخطهم. أحاسيس مكبوتة وأنفاس لاهبـة وأفكار متصارعة أسئلة تطرح ويبحثون عن الاجوبة ، هل للاستعمار زوال ؟. وللعبودية نهاية ؟ ما ذنب هذا المجاهد اليس هو ابن لنا وأخ لنا يتعذب فـلا نستطيع ان نضمد جروحه أو نناوله شربة ماء ليطفىء غليله .

ويل لكم ايها القساة أيها الجلادون ايها الوحوش ، لقد عاد الوعى واستيقظـت الشعوب المخدرة ثقوا أيها المجرمون أن الارض التى تتمتعون بخيراتها وتحرقون أهلها وتذبحون أبناءها وتشردون نساءها ، وتقطفون ثمار أشجارها المروية بالدماء والدموع ستتحول عما قليل الى بركان يتفجر تحت أقدامكم فى كل مكان .

وبعد لحظات تقدم الجلادون الى ضحيتهم وراحوا ينهشونه كالكلاب المسعورة ينبحون ويعضون فحاولوا استنطاق البطل الشهيد ليقول لهم (تحيا فرنسا) ولكن الاسئلـة بلا أجوبة فالبطل الشهيد كأنه أصم لا يسمع، أبكم لا يتكلم ، جماد لا يحس، ولم يلتفت اليهم ولم يعبأ بوجودهم، فاشتد غضبهم وتحركت فى أعماق نفوسهم احقاد الصليبية الدفينة ، وصبوا عليه العذاب صبا ، والمحتشدون فى الساحة كل واحد منهم يحمـل قلبه فى يده ينتظر فى خوف وقلق وينصت متى ينادى باسمه ويبـوح بسره ويـزيح الستار عن أعماله فيكون نصيب احدى تلك المشانق المعددة للطلاب الحرية فى كل مكان لان البطل الشهيد كان يعرفهم جميعا وعمل معهم وأكل فى بيوتهم واختفى عندهم ولكنه كان قبرا لكل أسرار ، فتحيروا وتعجبوا فى أمره وكلما اشتدوا فى التنكيل به وتفننوا فى تعذيبه وازدادوا فى عنفهم ووحشيتهم ازداد هو أيضا فى صلابته وثباته وتظاهر بالتجلد والصبر يتحدى كل أساليب الجلاد .

الا يعلمون أن هذا المجاهد يجاهد فى سبيل الله لا فى سبيل المال والشهوة ولا من أجل الانتقام والشهرة انه يجاهد بايمان وعقيدة ، لقد خرج فى سبيل الله وقاتل فى

سبيل الله وسيموت فى سبيل الله فهو يبتسم للشدائد والمحن فلا يخشى الموت بل يمد له يده ليصافحه فى كل لحظة ، فان وضع فى كبر الشدائد وعرض على نـار الشقاء فسيظل وفيا مخلصا لمواطنيه ولمبادئه التى حمل السلاح من أجلها ليناضل حتى النصر أو الاستشهاد ٠

فنظر هؤلاء المواطنون العزل والعجزة من الشيوخ والنساء والاطفال الى البطـل الشهيد كيف يصارع الموت ويقاوم الآلام وخفقت قلوبهم حبا وعطفا واشفاقا على بطلهم المعذب تمنوا لو يفتدوه من العذاب الاليم ويفكون عنه الاغلال ، ولكن أيديهم مشلولة لا يمدونها نحو بطلهم ولا يستطيعون أن يقدموا له يد المساعدة سوى تلك الادعيـــة الصامة الخافتة التى لا تتعدى نطاق صدورهم ولا يستطيعون حتى اسكاب عبراتهم المحرقة الحابسة فى مقتلهم المعلقة فى أجفانهم اللامعة فى عيونهم فلا يملكون سوى تلك النظرات الحادة المعبرة عن غليانهم وسخطهم على تلك العصابة اللصوصية التى سلبت حريتهم وداست كرامتهم وفسخت شخصيتهم وطمست تاريخهـم وانكـرت انسانيتهم ونهبت ثرواتهم واستولت على خيراتهم واكلت خبزهم بل حاولت تجريدهم من كل معانى الانسانية ٠

البطل الشهيد : نظر الى تلك الثغور الحزينة والوجوه الكالحة العابسة وأدرك ما يجوس فى أعماق تلك الصدور العريضة المعبرة عن آلام الحاضر وآمال المستقبـــل فاجابهم بكلمة قصيرة اطلبوا الموت توهب لكم الحياة اننا سنضع الحياة لاجيالنا ونبنى مستقبلنا بأيدينا ونشق طريقنا بمعاولنا ، ونشيد بأرواحنا وأشلائنا أمة قوية عظيمة خالدة لا تموت بموتنا ما كاد يلفظ الجملة الاخيرة حتى انهالوا عليه بالضرب صفعا ولكما رفسا وركلا وشتما مقذعا ، وهم يصيحون فى غضب وجنون اذا لم تسب الفلاقة وتقول : تحيا فرنسا ، فاننا نقتلك فلن تمشى على الارض بعد اليوم فقال لهم البطل الشهيد بصوت كله هدوء وكله اطمئنان اقتلونى أنا لا أقول أنى لا أهاب الموت ولا أخشاه الموت أحب الى من حياة العبودية ٠

الضابط : سنقتل الجميع اذا لم تقل تحيا فرنسا ، فسكت الشهيد فاذا بـه يقول اقتلونا ان شئتم فالثورة لا تموت بموتنا بل هى زاحفة الى الامام فلن تقف بموتنا ولا

بتعذيبنا ولا بسجننا ولا بنفينا ولا بأحراقنا ، بل نحن وقودها كلما احترقنا زاد غضبها وأرتفع لهيبها واشتد سعيرها ...

الضابط الفرنسي : الا تعلم ان جيشنا واقف لكم بالمرصاد يصطادكم في كل مكان خير لك أن تقول تحيا فرنسا ، وها هي زجاجة الماء نعطيها لك لتزيل ظمأك عندما تفي بالوعد ونعفو عنك ونطلق سراحك ، ونظر اليه البطل الشهيد وصاح في عزة وكبرياء اتساومونني في عزتي وتشترون كرامة بلادي بشربة ماء ويل لكم لا تعرفون من أنا ، وتقدم اليه ضابط ومسكه من شعر رأسه ثم أخذ يجذبه حتى كاد ينزع جلدة رأسه ، ثم تقدم الآخر فوضع المسدس على صدره وهو يصيح قل تحيا فرنسا والا فرغت فيك هذا المسدس ، والشهيد ساكت صامد فكأنه يقول أيها الجلادون انكم لا تملكون الا جسمي فافعلوا به ما تشاؤون مزقوا جسمي قطعوه أربا اربا ان شئتم احرقوه فهو ملك لكم فاصنعوا به ما بدا لكم ، أما الروح فلله رب العالمين فان استعبدتم اجسامنا فلا تستعبدوا أرواحنا وان احتللتم أراضينا فلن تحتلوا عقولنا وان تحكمتم في مصيرنا فلا تتحكموا في مشاعرنا ولا تملكوا احاسيسنا ولا تتصرفوا في عواطفنا وان حطمتم أسوار مدننا واقتحمتم بيوتنا وفتحتم أبوابها فانكم ستظلون عاجزين صاغرين واقفين أمام قلعة قلوبنا فلا تستطيعون فتح أبوابها ولا اختراق جدرانها ولا تنفذون اليها مهما أوتيتم من مهارة ومهما جندتم من قوة ...

ان موقف الشهيد قد اغضب الجلادين واقلقهم فلا يطيقون صبرا فراحوا يصبون عليه كل أنواع العذاب كي يطيع أوامرهم ويستجيب لرغباتهم ويخضع لسلطتهم ويقول تحيا فرنسا أمام الجماهير المحتشدة ولكن الجلادين تناسوا ما لقيه على أيديهم هذا البطل من تعذيب وتنكيل واضطهاد وحرمان حتى من شربة ماء وما تحمل ذلك الجسم الواهي من مآسي وجراح من أجل ان تحيا الجزائر ، لقد سلم جسمه لهؤلاء الجزارين القساة يقطعون ويمزقون فهو ملك لهم كما قال وعندما أحس بأن روحه كادت تزهق وتفارق ذلك الجسم الفاني ، وطلب من الضابط الفرنسي ان يكف عنه ويرفع يداه ويقول له ما أراد قبل ان يفارق عالم الفناء الى عالم البقاء والخلود فدهش الضابط الفرنسي بما سمع فلم يكد يصدقه .

فقال له حقا ما تقول ؟ وتقول تحيا فرنسا الشهيد نعم ، فابتسم الضابط الفرنسى ابتسامه نصر وفوز ٠٠٠ فقال له الآن قد عاد اليك الوعي وعرفت الصواب ٠

ولكن الشهيد قطع كلامه لا يريد سماعه وكان قلقا يخشى أن يفارق الحياة قبل ان يفجر آخر قنبلة احتفظ بها لآخر لحظة من حياته وقال لهم : أوقفونى لاقولها ـ أقولها واقفا فأمر الضابط جنديين فأوقفاه ورفع رأسه فى كبرياء وشموخ ونظر الى تلك الجماهير المتجمعة المتطلعة اليه فى كل آونة وصاح صيحته الاخيرة : الله أكبر تحيا الجزائر فاذا بالضابط الفرنسى تهيج أعصابه وتظلم الدنيا أمام عينيه بهذا التحدى والاعتداء على كرامة فرنسا ٠

انتهاك حرمتها واهانتها أمام جيشها الجبار فاعطى الاشـارة الى جنوده فيصوبون بنادقهم الى صدر البطل فتهاطل عليه وابل الرصاص وسقط شهيدا فى ساحة المجد والشرف وانفجرت الحناجر ودويت ساحة القرية بالزغاريد ، وبذلك تصدعت جدران الخوف وزلزلت أركانه وانهار بنيانه وزالت تلك الحواجز الصلبة المدعمة فى وجـه تلك الجماهير الزاحفة المتطلعة الى النور المتعطشة الى الحياة الكريمة المتلهفة الى الحرية٠

لقد تحرروا من ذلك الخوف الذى زرعـه العدو فى أرضهم وغرسه فى صدورهم وصار يتغذى من مخيلتهم ويتطاول عى أفاقهم ٠

لقد اختفى ذلك الشبح المخيف الذى حولهم أقزاما وتماثيل ٠

وكانت الاصوات تتجاوب مع الاصداء ترددها تلك الجبال الشاهقة وكأنها صواعق تصم الاذن وتنزل على رؤوس هؤلاء الاوغاد تنذرهم بالويل والثبور وأرتفعت الصياحات هنا وهناك ، والتحمت الجماهير وتعالت الهتافات بالتهليل والتكبير ، الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله تحيا الجزائر ٠